الفصل الأول : أدباء المهجر الشمالى

١- أدباء المهجرالشمالى والتجديد فى الأدب العربى الحديث.

حمل شعراء المهجر – خاصة شعراء الرابطة القلمية – راية التجديد لتجاوز القيم الفنية لمدرسة الإحياء والبعث في شعر البارودى وشوقى وحافظ وغيرهم، الذين آمنوا بالقيم الفنية للقصيدة التراثية نموذجاً فنياً يحتذى به وقد حافظت هذه المدرسة على الديباجة العربية ، لمكونات القصيدة من حيث الألفاظ ، والمعانى ، والصور، والإيقاع الذى اعتمد على الوزن الخليلى ممثلا في وحدة الوزن والقافية، أما شعراء المهجر فقد تبنى كثير منهم الاتجاه الرومانسى اتجاها فنيا، وقد تشابهت ظروف هؤلاء مع ظروف الأدباء الذين انتهجوا المذهب الرومانسى، فقد نشأ الاتجاه الرومانسى في فرنسا كرد فعل للثورة الفرنسية التي أثارت ضمائر البشر، واعترفت للفرد بحقوقه، فأخذ يتغنى بذاته، معتزا بها ، معبراً عن أحزانها، وأشجانها، في عالم تضيع فيه المبادىء والقيم، واتجهوا إلى الطبيعة علهم يجدون فيها الملجأ والملاذ، لتحقيق أحلامهم التي ضاعت في عالم الواقع، كذلك الشاعر المهجرى فقد رزح تحت وطأة الاستعمار والفقر والتخلف ، وفر بعيداً عن هذا الوطن الذى لم يجد فيه الراحة والأمان، إلى عالم غريب وجد فيه الوحشة، وافتقد رابطة الألفة بينه وبين العالم المحيط به ، فلم يجد هؤلاء في غربتهم سوى البكاء والحنين إلى أوطانهم، متخلين فيه تارة – وفى الغاب تارة أخرى - العالم المثالى الذى تتوق إليه أنفسهم.

وقد تبنى شعراء الرابطة القلميةهذه القيم الفنية الرومانسية ، في الثورة على القديم ، والبحث عن الجديد، والإيمان بقدرات الفرد وحريته ، والتحليق في عالم الخيال ، بحثا عن عالم مثالى، وهذه ملامح المذهب الرومانسى، فهو" مذهب عاطفى يتغنى بآلام الإنسان ، وأحيانا بمسراته، وهوأدب شخصى يهتم بمشاعر الفرد إلخاصة ويترنم بها، ولهذا يكثر فيه التغنى بجمال الطبيعة، التي يتعزى بجمالها الناس عن آلام الحياة، فالطبيعة عند الشاعر الرومانسى معبد يأوى إليه ليستجم عندما تقسو الحياة..." (١).

وقد رأت د.نادرة سراج أن هؤلاء تأثروا بمذهب الترانسندنتلزم *Transcendentalism*وتعنى هذه الكلمة العناية بكل ما روحى والسمو الروحى إلى آفاق علوية، ومعاونة كل من يعيش بالروح، والتسامى والعلو الذى اتسمت به هذه الحركة ، التي يقول مؤرخو الآداب عنها إنها مظهر لاحق لحركة الرومانسية الأوربية نفسها"(٢).

وهذه الحركة كانت تدعو إلى السمو الروحى، وكانت تشجع الفرد على بعث قدراته وإمكاناته، وذاعت هذه الحركة التي تزعمها إمرسن في الأدب الأمريكى وكانت لهم مجلة تسمى المزولة *Dail* يكتبون فيها عن آرائهم التحررية وقد عرفوا بحب الحرية، والأمل في التقدم الاجتماعى، وكانوا يتطلعون إلى المستقبل، والاندماج بالطبيعة ، والدعوة إلى الحياة البسيطة في أحضانها، وأهم قطعة كتبها إمرسن كانت بعنوان الطبيعة وهى من الشعر المنثور....إلخ(٣).

1 - د.محمد مندور :في الأدب والنقد ط دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع د.ت ص١٠٣.
2 - د. نادرة جميل سراج :شعراء الرابطة القلمية ص ١٠١.
3 - م. نفسه ص١٠٢.

وإن كنا نجد كثيراً من هذه الملامح الفنية عند شعراء الرابطة القلمية ، والتي تتلاقى في كثير منها مع النزعة الرومانسية ، ولكن كما يقول عدنان يوسف سكيك يصعب تحديد "اتجاهات هذه الجماعة الأدبية والفكرية ، لأنهامتعددة الجوانب والأصول اللاهوتية في الشرق والغرب، ولكن أبرزالاتجاهات التي تاثرت بها هذه الحركة هى:

الرومانسية في الأدب ، والمثالية الأفلاطونية...مع أخلاط من آراء البوذيين والصوفيين في مجال الروح"(١).

نوجز هذه الملامح في الحرية والانطلاق والثقة في قدرات الفرد ، والسمو النفسى والأخلاقى ،والاندماج بالطبيعة ، التي قد يجد فيها الشاعر بديلا لعالم متخيل بعيداً عن عالم الواقع بأدرانه، وهكذا نجد أثر العامل الثقافى والتأثر بالأدب الغربى – وليس هذا عيباً ولكن التأثير والتأثر ظاهرة أدبية لها إيجابياتها– لا بالصورة المستنسخة - ولكن من منطلق الإفادة من أدب الغير، وكان هذا العمل (الثقافى)أهم العوامل التي برر بها د.محمد مندور لتفوق هؤلاء الشعراء ، وتحقيق وثبة تقدمية في تاريخ الأدب العربى ، فأضاف إلى جانب عامل الطبيعة الساحرة التي تلهب الخيال ، والاستعداد النفسى للمغامرة عنهم، ولكن السبب المهم عنده أنهم "قد أمعنوا النظر في الثقافات الغربية التي لاغنى لنا اليوم عنها، وعرفوا كيف يستفيدون منها بعد أن هضموها في لغاتها الأصلية"(٢).

1 -عدنان يوسف سكيك :النزعة الإنسانية عند جبران ط الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٧١ ص٣٩:٤٠.

2 - د.محمد مندور : في الميزان الجديد ط.دار نهضة مصر د. ت ص٦١.

ومما يدلل على ذلك ما نجده في إبداعاتهم الشعرية ، وكتاباتهم باللغة الإنجليزية(كتب جبران ثمانية كتب باللغة الإنجليزية(منها النبى، المجنون...إلخ) وكتب ميخائيل نعيمة (مرداد)باللغة الإنجليزية ، وكان جبران يكتب في مجلة النجوم السبعة التى كانت تصدر باللغة الإنجليزية، أكثر من ذلك ترجم بعضهم عن لغات أخرى كنظير زيتون عن اللغة الروسية، وترجم شفيق معلوف عن كاسترو ألفيس الشاعر البرازيلى قصائد الشلال ، ومنزل الآباء، والعبقرى، وعن شاعر البرازيل البير سامان قصيدة الرضيع، وعن الشاعر الفرنسى شارل كودان ألحانه، وعن الشاعر الفرنسى لويس كارلوس دافو نسيكا قصيدة يد الأمل(١).

وترجم نسيب عريضة الصمت ليتوكشف، والنوم والمنية لسولوكوب الروسى أيضا، وجمع أمين الريحانى في كتابه (وجوه شرقية وغربية)لمقالات عن شكسبير وفولتير(٢)، وترجم إلياس أبو شبكة سقوط ملاك *La chate d unange* للامرتين وقال في المقدمة إن هذه القصيدة تتفق مع روح الشرق(٣).

نستخلص مما سبق أن شعراء المهجر استفادوا من الثقافة الغربية وجاءت نتيجة هذه الاستفادة – كما سنرى – التجديد في شعرهم فكراً ومضموناً وشكلاً وقد عبروا صراحة عن رؤيتهم الجديدة لمفهومهم الأدب في صورته التجديدية التي تعد طفرة عظيمة القيمة في تاريخ الأدب العربى.

---

1 - راجع:شفيق معلوف:ديوان سنابل راعوث ط مجلة شعر عام١٩٦١ص٤٧و١٢٩و١٦٠و٥٧ و٩٣ و٢٠٧.

2 - راجع :أمين الريحانى :وجوه شرقية وغربية ط دار ريحانى للطباعة والنشر عام١٩٥٧ص١٠٣.

3 - راجع:إلياس أبو شبكة :مقدمة ترجمة سقوط ملاك ط دار صادر بيروت عام ١٩٢٧ ص٧.

نادى أمين الريحانى بتجاوز النهج القديم ومعايشة العصر، فأوصى الشعراء بقوله"حرروا صناعتكم من قفا نبك وسائق الأظعان، إن عندكم اليوم الطيارات لتسوقوا النجوم"(١).

ونادى بتجاوز أغراض الشعر المستهلكة، كالفخر، والهجاء، والرثاء والخمريات، ومدح الشعر التأملى، فمدح شعر المتنبى، والمعرى، وابن الفارض وطمح أن يكون الشعر إنسانيا، وكان أول من كتب الشعر المنثور، وقد اقتدى خطاه من بعد جبران.

وكان جبران متمرداً على كل شيء، على الأوضاع الاجتماعية والدينية التي تأسر حرية الفرد، ونادى بالتحرر والانطلاق والتسامى، وجاء أدبه معبراً عن ثورته وأعلن أن الشعر ينبغى أن يكون معبرا عن النفس - في صدق- بعيداً عن التكلف قال مخاطبا الشعراء"ليكن من قصائدكم إلخصوصية...فخير لكم وللغة العربية أن تبنوا كوخاً حقيراً من ذاتكم...من أن تقيموا صرحا شاهقا من ذاتكم المقتبسة .. ليكن لكم من عزة نفوسكم زاجراً عن نظم قصائد المديح والرثاء والتهنئة، فخير لكم وللغة العربية أن تموتوا مهملين من أن تحرقوا قلوبكم بخورا أمام الأنصاب والأزلام"(٢).

والشعر عنده ليس كلاماً موزوناً مقفى، ولكنه تعبير جميل عن شعور صادق، عرف الشعر بقوله"الشعر...روح مقدسة متجسمة من ابتسامة تحيى القلب أو تنهيدة تسرق من العين مدامعها، أشباح مسكنها النفس، وغذاؤها القلب

1 - أمين الريحانى:أنتم الشعراء بيروت عام ١٩٣٣ص٨٩.
2 - محيى الدين رضا: بلاغة العرب في القرن العشرين القاهرة ١٩٢٤ص٨٣.

ومشربها العواطف، وإن جاء الشعر على غير هذه الصور، فهو كمسيح كذاب نبذه أوفى" (١)

وقريب من هذه الرؤية يقول ميخائيل نعيمة: "العواطف والأفكار هى كل ما تعرفه النفس، فالشعر إذن هو لغة النفس، والشاعر هو ترجمان النفس"(٢).

ومن هذا التصور جاء رفضه للتكلف ، لأنه مناف للصدق، فقال "أدركنا – بفضل الغرب – أن نظم الشعر ممكن في غير الغزل والنسيب، والمدح ، والهجاء والوصف، والفخر والحماسة، لذلك أطربتنا نغمة بعض الحديثيين الذين تجاسروا أن يتعدوا هذه الحدود المقدسة"(٣).

ولم تكن آراء مخائيل نعيمة- كغيره من أدباء المهجر- منفصلة عن إبداعه الشعرى ، الذى جاء"كله خواطر نفسية وتأملات فلسفية، وأفكار في الزهد والصوفية، وحتى في وصفه للطبيعة، فهو ميال إلى المعنويات والروحانيات لايعرف الوصف المادى ، أو الحسى، فالطبيعة – عنده – كائنات حية ، يتجاوب معا، ويهمس إليها، ...ويخيل إليه أنه يسمع جوابها فيعود إلى الهمس من جديد ومن هنا جاء ديوانه همس الجفون، مطابقا لمحتوياته، هى همسات بينه وبين نفسه، وبينه وبين الطبيعة الصامتة حوله"(٤).

وقريب من مثل هذه الرؤى السابقة، عبر الشاعر إيليا أبو ماضى عن منهجه الشعرى (شعرا)فقال:

أنا ما وقفت لكى أشبب بالطلا ما لى وللتشبيب بالصهباء

---

1 - جبران خليل جبران :دمعة وابتسامة ص٦١، نقلا عن عدنان يوسف سكيك:النزعة الإنسانية عند جبران ص٦٧.
2 - ميخائيل نعيمة :الغربال دار صادر بيروت عام ١٩٦٠ ص٩٢.
3 - م.نفسه ص١٨٤.
4 - د.نادرة جمل سراج :شعراء الرابطة القلمية ص١١٥.

لاتسألونى المدح أو وصف الدمى إنى نبذت سفاسف الشعراء

وقال في موضع آخر:

لست منى إن حسبت الشعر ألفاظا ووزنا

خالفت دربك دربى وانقضى ما كان منا

فانطلق عنى لئلا تقتنى هما وحزنا [1]

وأشاد نعمة قازان الشاعر المهجرى الجنوبى بدور العاطفة في الشعر فقال:

إذا قام شعر بألفاظه تكون القواميس خير الكتب

كل ذلك دفع بالدكتورة نادرة جميل سراج أن تقول "واضح أن مدرسة الرابطة القلمية هى أول مدرسة في الأدب الحديث استطاع أعضاؤها أن يخرجوا دواوين من الشعر الصادق، والمعبر عن نفوس أصحابه، وما يصدر من خواطر وأفكار وتأملات في الحياة والطبيعة، وما يحيط بهم من أحداث، وما تنبض به قلوبهم من آمال وآلام" [2].

ودفع بعيسى الناعورى إلى القول "بالإجمال كانت المدرسة المهجرية المتحررة جديدة، لم يألفها الشرق العربى المحافظ، ولاغرابة في ذلك، فهى خلاصة العناصر القوية الحية في روحانية الشرق مسكوبة في أحداث قالب وأروع من رومانسية الغرب العصرية الزاهية، وقد وفق المهجريون بطريقة فذة ساحرة وتركوا أعظم الآثار، وأجلها خطراً" [3].

ورأى د.شوقى ضيف أنهم مجددون بالمعنى الواسع لكلمة التجديد مجددون في أساليبهم، ولغتهم، ومجددون في الموضوعات التي يطرقونها، ونكاد

---

1 - إيليا أبو ماضى :ديوان الجداول ص٤.

2 - د.نادرة جمل سراج :شعراء الرابطة القلمية ص١١٥.

3 - عيسى الناعورى :أدب المهجر ص٧٣.

نقول إنهم مجددون في الشكل الخارجي- أيضا- بما ينوعون فى أوزان القصيدة الواحدة وقوافيها، وبما يستعملون من لغة مألوفة، وليس هذا كل ما نجده في دواوينهم، فنجد عندهم – أيضا – تفكيرا فيما يمكن أن نسميه الفلسفة الكونية إذ يشغلون – دائما – بالتفكير في الخير والشر والصراع بينهما(١).

هكذا جاء التجديد في إبداعات أدباء المهجر في الموضوعات الفنية ، وفى الأسلوب والموسيقى والقافية ، ومن البداية جاءت عناوين دواوينهم معبرة عن هذا التجديد (همس الجفون الأرواح الحائرة الجداول إلخمائل أغانى الدرويش....إلخ) وكثر في أشعارهم التأمل الفلسفى ، والنزعة الإنسانية ، والتطلع إلى عالم مثالى وجدوه في أحضان الطبيعة ، والتغنى بالوطن ومآثره والتوق إلى ترابه.

ونقف على التجديد في الأطر الآتية:

- ✓ التجديد في الموضوعات:
- ✓ التأمل الروحى والفلسفى:

يكثر فى شعر شعراء الرابطة القلمية – وتابعهم بعض شعراء المهجر الجنوبى –التأمل في النفس والروح والحياة ، وتساءلوا عن النفس من أي شيء خلقت ؟وإلى أي مدى ستمضى؟وما العلاقة بين الروح والنفس؟وبين القلب والجسد؟وما العلاقة بين إلخير والشر؟كل هذا في صورة من التفلسف، ولكن لايعنى هذا "أننا نتلمس فلسفة لذاتها فى الشعر المهجرى ، لأن نسيبا لم يقل شيئا في النفس، ولأن أبا ماضى لم يأت بطريف أفكاره عن الزمن، ولكن هذا الشعر في أكثره قائم على نوع من الحقيقة الفلسفية ، أو النظرة المتفلسفة"(٢).

---

1 - راجع :د.شوقى ضيف : دراسات في الشعر العربى المعاصر دار المعارف ط٨ د.ت ص٢٤٦:٢٥٠.
2 - راجع :د.شوقى ضيف : دراسات في الشعر العربى المعاصر دار المعارف ط٨ د.ت ص٢٤٦:٢٥٠.

التأمل في النفس وطبيعتها نجده عند كثير من شعراء المهجر خاصة عند شعراء الرابطة القلمية، نجده عند إيليا أبا ماضى في قصيدة (الطلاسم).

وعند ميخائيل نعيمة في قصيدة (من أنت يانفسى)[١].

فقد راح نعيمة في هذه القصيدة يبحث عن نفسه في ظواهر الطبيعة والكون (الموج، الرعد، البرق، الفجر، الشمس، الألحان...إلخ، وينهى القصيدة بأن النفس فيض من الله، يقول في مفتتحها:

- إن رأيت البحر يطغى الموج فيه ويثور
- أو سمعت البحر يبكى عند أقدام الصخور
- ترقبى الموج إلى أن يحبس
- الموج هديره، وتناجى البحر حتى
- يسمع البحر زفيره
- راجعا منك إليه
- هل من الأمواج جئت؟!

ويستمر في تساؤلاته المحيرة عن طبيعة النفس، هل من البرق انفصلت؟ ! أم من الريح ولدت؟!أم من الفجر انبثقت؟!أم من الشمس هبطت؟!أم من الألحان جاءت؟! لينتهى بقوله إنها فيض من الله:

- إيه نفسى! أنت لحن في قد رن صداه
- وقعتك يد فنان خفى لا أراه
- أنت ريح، ونسيم، أنت موج، أنت بحر

1 - د.إحسان عباس ود.محمديوسف نجم:الشعر العربى في المهجر (أمريكا الشمالية)ط دار صادر بيروت د.ت ص١٤٠.

obeikandl.com

- أنت برق، أنت رعد، أنت موج، أنت ليل، أنت فجر
- أنت فيض من إله

فنسيب عريضة من أشد الشعراء المهجريين بفكرة النفس الهابطة من عالم النور، وهذه النفس تحن إلى السماء التي هبطت منها، ونظرية فيض النفس من اللّه نظرية يونانية قديمة، نادى بها أفلوطين فيلسوف الإسكندرية، ومن بعده الفيلسوف العربى ابن سينا(١).

أعتقد من الدوافع التي دفعتهم إلى التأمل في نفوسهم شعور الغربة والوحدة وافتقاد الأهل والصديق والأليف والحبيب ، لقد أعطاهم هذا وقتاً للتأمل والتفلسف منصرفين إلى نفوسهم يبثونها أفكارهم، فهذا جبران يتحدث إلى نفسه، مبرهنا على خلودها:

يـــانفس لـــــولا مطمعـــــى بإلخلـــد مـــا كنـــت أعـــى
لحنـــــا تغنيـــــه الـــــدهور
يـــانفس إن قـــال الجهـــول الـــنفس كالجـــسم تـــزول
ومـــــــايزول لايعـــــــود
قـــــــولى:إن الزهـــــــور تمـــضى ولكـــن البـــذور
تبقـــى وذا كنـــه إلخلـــود (٢)

والدارس لشعر المهجر – خاصة شعراء الرابطة القلمية – يلاحظ ما من شاعر إلا وله قصيدة في النفس، ماهى ؟ما كنهها؟وما مصيرها؟وهل هى خالدة أم

1 - راجع:إيليا أبو ماضى: ا ديوان الجداول ط.مرآة الغرب عام ١٩٢٧ القصيدةص٨٩ وما بعدها. راجع:ميخائيل نعيمة:ديوان همس الجفون ط٢ دار صادر بيروت عام١٩٥٢ص١٦ وما بعدها.
2 - راجع:د.نادرة جميل سراج :شعراء الرابطة القلمية ص١٢٤.

فانية؟وهل هبطت من السماء فدات الجسد ؟ومتى هبطت؟ حتى أن الشاعر إيليا أبا ماضى يعرف الشاعر **بقوله**:

هـــو مـــن يـــسائل نفـــسه عن نفـسه صـبحه ومـسائه

ومن القضايا التي اتخذت طابعا فلسفيا في شعر شعراء الرابطة القلمية قضية الخير والشر، والسؤال الذى طرح نفسه إذا كان اللّٰه خيراً كله فمن أين يأتى الشر؟!

فى تناولهم لهذه القضية نجدهم يؤمنون بالنظرة الرومانسية"التي تقول إن الخير لايرى إلا من خلال الشر، وهى فكرة بويمهBehmeالذى كان يقول في تفسير ظاهرة الشر في الوجود:إن اللّٰه قسم إرادته قسمين:نعم، ولا، وكل الطبيعة ترمى لتحويل الإرادة التي تقول(لا)إلى الإرادة التي تقول:نعم، وعند هؤلاء الرومانطقيين أن الشيطان هو الذى عرفه فاوست بقوله:إنه الروح التي تقول –دائما – لا"[١].

وقد نظر ميخائيل نعيمة للخير والشر نظرة توفيقية، فكلا من الخير والشر محتاج إلى الآخر، وجود الشر ضرورى لمعرفة الخير، **يقول في قصيدة (الخير والشر)**:

سمعت في حلمى ويـــا للعجـــب سمعت شيطانا ينـــاجى مـــلاك

أليـــس أنـــا توأمـــان اســـتوى سر البقا فينـــا وســـر الهـــلاك

ألم نصنع مـــن جـــوهر واحـــد إن ينسنى الناس زمان قديم...إلخ[٢]

1 - جبران خليل جبران:البدائع طبعة سعود دلول عام ١٩٥٥ص٩٤.
2 - د.إحسان عباس ود.محمد يوسف نجم:الشعر العربى في المهجر (أمريكا الشمالية)ص٥٦.

وإذا كان الخير والشر من الثنائيات ، فإلى أي أحدهما نميل؟!

وجاءت رؤية ميخائيل امتداداً للقلق والحيرة التي اتصف بهما فكره ، وفكر غيره من شعراء المهجر، فالخير والشر ضروريان في الحياة، ولاتسير إلا بهما وما الاختلاف بينهما إلا اسمياً فقط، نقول على هذا خير، وعلى الآخر شر فميخائيل في قصيدة العراك، يتخيل شيطاناً يدخل قلبه فيرى فيه ملاكا، ويدور بينهما عراك، فيقف حائراً ، **ويتساءل في شك وارتباك**:

لســـــست أدرى أرجـــــــيم فـــي فـــؤادى أم مـــلاك [1]

وتتساوى الأشياء – ومنها إلخير والشر– عند إيليا أبو ماضى لأن المتناقضات تعبر عن شيء واحد، فيستوى الجمال والقبح، والكمال والنقص والشوك والزهر...إلخ، **يقول في قصيدة الأسطورة الأزلية**:

لكـــنهم لمـــا اضـــمحل الـــدجى لم يجـــدوا غيـــر الـــذى كانـــا

هم حددوا القبح فكـــان الجمـــال وعرفوا الخير فكان الـــصلاح

وليس من نقص ولامـــن كمـــال فالشوك في التحقيق مثل الأقاحى

وذرة الرمـــل ككـــل الجبـــال والذى عز كالذى هانا...إلخ[2]

وينقد الدارسون هذا التصور(تساوى الثنويات) ، ويتساءل بعضهم لماذا اتخذ إيليا الغاب صورة للكمال؟!وإذا كان إلخير والشر، أو الشوك والزهر مسميات لمفردات، فما قيمة العمل الإنسانى على الأرض؟!وما قيمة ما يسميه الناس

1 - ميخائيل نعيمة :ديوان همس الجفون ص٦٤.
2 - راجع:م. نفسه ص٩٦وما بعدها.

ضميرا؟!عندما لا يكون في الحياة إلا شيء واحد ، يبطل الاختيار، وإذا لم يكن هناك اختيار ، بطلت قيمة الإرادة الإنسانية [١].

ومن تأملات المهجريين التي اتخذت طابعا فلسفيا الصراع بين العقل والقلب، وقد أعطى الفلاسفة العقل مكان الصدارة، ولكن مع تقدم الأيام أخذ القلب في صراع مع العقل ، عندما أصبح العقل رمزا للتقدم العلمى، وأصبح القلب رمزاً لقوى الإيمان، التي تقى الإنسان من ضراوة العلم ، الذى أمات المشاعر والأحاسيس، وقدم الرومانسيين القلب على العقل ، فالإنسان يعيش بمشاعره أحاسيسه، لا بالمقاييس والمنطق، غير أن المهجريين"كانوا إذا صوروا هذا النزاع المستحكم بين القلب والعقل، عنوا به العراك بين العاطفة التي سيرها الخيال ، وبين الأحكام التي يواكبها المنطق، بين حرارة الشباب، وبرودة الشيخوخة، وبين الدين القائم على المحبة ، والعلم القائم على التفكير ، بين التلاقى بين المشاعر والتعامل بالأرقام" [٢] وكان إيليا أكثر الشعراء الذين أثار انتباههم هذا الملمح، وإن اتخذ صورة حيادية في قصيدة (بين مد وجزر)[٣].

فالقلب في مرحلة الشباب زين له الحياة ونبهه إلى أعماق الجمال الكامن في الطبيعةوالحياة:

وإذا الرمال أزاهر فواحة والشط هيكل شاعر فنان

وإذا العباب ملاعب ومراقص وإذا أنا من صبوة وغرام...إلخ

ومع تقدم العمر سلم نفسه للعقل، فأراه الجانب القبيح للحياة، وجعله عبداً للمال، فتضايق القلب ، وحن إلى أحلامه التى كان يرى فيها القفر ضاحكا

1 - راجع إيليا أبا ماضى : ديوان الخمائل ط دار صادر بيروت د.ت القصيدة ص١٢٩ وما بعدها.
2 - راجع د.إحسان عباس ود.محمد يوسف نجم:الشعر العربى في المهجر (أمريكا الشمالية)ص٥٢.
3 - د.إحسان عباس ود.محمد يوسف نجم:الشعر العربى في المهجر (أمريكا الشمالية)ص٥٩.

والجداول منسابة فى أنغام ، والأحلام الوضيئة تجعل لحياته مذاقاً وطعما، فسكت عند هذا الحد، وطلب عودة القلب، التي أصبحت أمرا عسيرا، فشعر بأن الإلهام قد توقف، وأنه عاجز عن إبداع الشعر، **فقال**:

لا تسألونى عن قيثارتى قيثارتى خشب بلا أنغام

وقد عكس هذا الشعور في قصيدة (الكمنجة المحطمة)[١].

والتى يرثى فيها لنفسه الشاعرة ، لحظة خيبة العقل واستحالة رجوع القلب، وهذه القصيدة تعبر عن لحظة لحظة صادقة عاشها الشاعر مع نفسه المحطمة **التي تشبه الكمنجة المحطمة**:

لا حس في أوتارها لا شوق في أضلاعها ، لاحسن في باقيها

فارزح بحزنك يا حزين فإنها لاتنشر الشكوى ولا تطويها

أما ميخائيل نعيمة فقد انقاد للعقل حين شعر بنار الوجد انطفأت في قلب إلى الأبد، فأخذ يتأمل بفكره في الوجود الواقع، بصورة منطقية، يقول في قصيدة أفاق القلب.

رحت أجوب ما استترا من الدنيا وما ظهرا

وأبحث في غبار العيش عن خزف وعن صدف

أراه بفكرتى درررا

ورحت أقيس أيامى وأعمالى وأحلامى

وما حولى ومن حولى وما تحتى وما فوقى

و بأفكارى وأوهامى...إلخ[٢]

---

1 - إيليا أبو ماضى:ديوان الخمائل ، قصيدة بين مد وجزرص١١٩ وما بعدها.

2 - إيليا أبوماضى :ديوان الجداول ط.مرآة الغرب نيويورك عام ١٩٢٧ص٣٨وما بعدها.

غير أن قلبه سرعان ما انتفض ، وأخذ يقبل على الحياة ، فأقبل على ما شيده العقل فحطمه، وعاش حياة الشعور والنبض والجمال الروحى.

وعند نسيب عريضة في قصيدة (القفر الأعظم)[1] يظهر التردد والحيرة بين الانقياد للقلب ، أو الانقياد للعقل ، فعندما يركن الإنسان لأحدهما يجد قصوراً وضلالا، أسلم نفسه للقلب ، فقدم إلخير كل إلخير للناس ، ولكن لم يجد من يقدر هذا، **ووجد الإنكار والجحود**:

فلـــــم يلـــــب نـــــدائى سوى الـصدى فـي الفـضاء

وظل القلب يصارع في البقاء بعطائه، إلى أن جاء العقل واستل سيفاً وضرب القلب به، وأخذ يقود القافلة، **فضج الركب**:

فـــضج الركـــب وصـــاحوا يـــا عقـــل أيـــن المناهـــل

ويؤخذ على الشاعر أنه جعل الصراع بين العقل والقلب صراعاً دموياً رغم أنهما يعبران عن مراحل عمرية في حياة الإنسان، وأنهما يكمل كلاهما الآخر في مسيرة الحياة.

ولم يقتصرالتأمل في أدب المهجر على الشعر ، ولكن وجدناه في الإبداع النثرى، خاصة عند الريحانى فى ريحانياته، حيث زاوج بين الشعر والنثر ، وكان ممهدا لنشأة قصيدة النثر في بداية إلخمسينيات على أدونيس وأنس الحاج ومحمد الماغوط، **يقول مخاطباً الأمواج على رمل الإسكندرية**:

إيه أيتها الأمواج إلخالدة !كم شاهدت من أمواج الإنسانية ومن بحورها الفانية! أمام عيونك الزرقاء ، وفى ظل ابتسامتك الفضية، كم تبخر بحر، وكم تبدد

1 - ميخائيل نعيمة:همس الجفون ص٥٥ومابعدها.

ت تحت أمواجك موجة هادرة، شامخة ...من مزاريب ذهبية ، في بساتين من النورالأزلى الروحانى....لاتعجبى من هياج هذا الإنسان واضطرابه، فما هو سوى طوائف من الأسماك والحيوانات البحرية، تختبط في بحر من النفس لايرى...

أيتها الأمواج الناطقة بلسان الفناء والأزل ، الحاملة إلينا نبأ من الموت ونبأمن الخلود!إن بحر الإنسانية ليفيض وينضب ، وليزيد ويهيج، ليهدأ أو يتبخر ويتلاشى، وأنت إلى الأبد في أعين الشموس والأقمار، تشاهدين أباطيل هذا الزمان، كما شاهدت أباطل الأزمنة الغابرة(١)...

أمواج البحر المتتالية والمتتابعة تحكى أقصيص وأهازيج لأخبار من ماتوا على كفها، ومن تمتع بامتطائها، البحر سيظل في خلوده معبراً عن توالى الأيام وتتابعها، كتوالى أمواج البحر وتتابعه ، على خلاف حركة حياة البشر تفتقد الخلود والبقاء....إلخ.

وهكذا – كما يرى عيسى الناعورى نرى الأدباء المهجريين في تأملاتهم"يتجردون من طبيعة الطين، ويسمون فوق الحياة وفوق البشر يحللون النفس الإنسانية ويصورونها بدقة، ويحاولون إماطة اللثام عن أسرار الحياة ، وفى كثير من التأملات العميقة يحدوهم الشك...ولكنه الشك لباحث عن الحقيقة ، المتطلع إلى تحقيق مثل إنسانية عليا خالدة ...لذلك نستطيع أن نقول إن الأدب العربى لم يعرف الأدب التأملى ...كما عرفه أدب المهجر"(٢).

1 - نسيب عرضة:ديوان الأرواح الحائرة ط. نيويورك د.ت ص١٦٨وما بعدها.
2 - راجع:عيسى الناعورى:أدب المهجر ص٩٤:٩٥ ٣٥ – م.نفسه ص٩١.

النزعة الإنسانية

النزعة الإنسانية أساسها القيم المنتزعة من تجارب الناس، وتقوم على العلاقات بين الناس بعضهم مع بعض، والعلاقات التي تقوم بين الإنسان والطبيعة(١).

فالإنسانية في مفهومها العام نظرة واسعة للحياة وللوجود، ومن عانى هذه الإنسانية فيما يتعلق بالجنس البشرى نشر المبادىء السامية والمثل العليا بين الناس، ومحاربة النظم التي تباعد بين الإنسان وأخيه، والعمل على خلق مجتمع مثالى يسوده العدل والرحمة والمحبة، وعلى تخفيف الشقاء الإنسانى ، وتصوير الحياة بصورة محببة إلى النفوس، أو هو بكلمة أخرى:المحبة الصحيحة لكل ما في الوجود ، بغير تفضيل أو تفريق (٢).

الدعوة إلى الأخوة والمحبة والتراحم والسلام بين البشر جميعا ، مهما اختلفت الأهواء والميول، والديانات ، والسياسات، والقوميات مبادىء يتصف بها أدب المهجر، **يقول أحدهم**:

ونفس لم يشرق الحب فيها هى نفس لاتدرى ما معناها

أنا بالحب قد وصلت إلى نفسى وبالحب قد عرفت الله

ويقول آخر متجاوزاً حدود الديانات سواء السماوية، أو اجتهادية:

إذا سألت عن نسبى فإنى مسيحى أحمدى بوذى يهودى(٣)

---

1 - راجع :اليزابيث دور :الشعر كيف نفهمه ترجمة محمد إبراهيم الشوش ، منشورات فرانكلين ، بيروت نيويورك عام ١٩٦١. ص٢٨.

2 - راجع:عيسى الناعورى :أدب المهجر ص٩٧.

3 - راجع:د.محمود حامد شوكت ود.رجاء محمد عيد:مقومات الشعر العربى الحديث والمعاصر ط.دار الجيل للطباعة د.ت ص١٩ .

ويكثر في أشعارهم –خاصة شعراء الرابطة القلمية- النداء بأخى ، ورفيقى وليخائيل نعيمة قصيدة بعنوان(أخى)قالها بعد الحرب العالمية الأولى وقد نفض فيها يديه من أمل الرجوع ، بعد افتقاده الأمل في صحوة عربية، **يقول فيها**:

أخى إن ضج بعد الحرب غربـــى بأعمالـــه
وقدس ذكر من ماتوا وعظم بطـــش أبطالـــه
فلا تهزج لمن سادا ولا تـــشمت لمـــن دانـــا
بل اركع صامتا مثلى بقلب خاشـــع دامـــى
لنبـــــك حـــــظ موتانـــــا إلـــــخ

ويكـرر فيهـا أخـى غـير مـرة(أخـى إن عـاد ... أخـى مـن نحـن ... أخـى إن راح...)[١].

ويكثر في شعر إيليا أبى ماضى النداء بأخى ورفيقى ، **كقولـه في قـصيدة (الطين)**:

يأخى لاتـــشح بوجهـــك عنـــى ما أنا فحمـــة ولا أنـــت فرقـــد

ويقول في مفتتح قصيدة (الفاتحة):

يارفيقى أنا لولا أنت ما وقعـــت لحنـــا[٢]

ويقول نسيب عريضة:

يارفيقى على طريـــق الحزانـــة سر فإن القضاء أقصى مـــدانا

ويقول ندرة حداد في قصيدة سر معى:

يأخى الـــساعى لنيـــل المجـــد خفـــف عنـــك جمحـــك [٣]

---

1 - راجع ميخائيل نعيمة:همس الجفون ص١٤ومابعدها.
2 - راجع إيليا أبى ماضى :ديوان الجداول ، قصيدة الطين ص٢٣ وقصيدة الفاتحة ص٤.
3 - ندرة حداد :ديوان أوراق إلخريف ط نيويورك عام ١٩٤١ص١٧ .

لقد أملت عليهم حياة الغربة ومعاناتهم المادية الدعوة إلى الإحسان والبذل، فالمال شيء زائل ، ويبقى الحب بين الناس ، فهذا إيليا أبو ماضى يظهر امتعاضه وحسرته من الأغنياء الذين لا ينفقون على البؤساء والمحتاجين، **يقول**:

كلوا واشربوا أيها الأغنياء وإن ملأ السكك الجائعون

ولا تلبسوا إلخز إلا جديدا وإن لبس إلخرق البائسون.. إلخ[1]

ويعرض ندرة حداد بالبخلاء، ويقرر بأن المال عرض زائل، ولا يبقى إلا ما ينفقه المرء ، ويتصدق به، **يقول في قطعة بعنوان (أنفق فضول مالك)**:

أنفق فضول المال حيا تنل شكر الذى أثريت من فقره

فحاتم ما عاش في عصرنا لو لم يجد بالمال في عصره...إلخ[2]

وفى قصيدة (في خلوتى)يذم الأغنياء ، الذين لا ينفقون، ويذكرهم بأن الدنيا مجرد رحلة ، وسيحاسبون على بخلهم، ويمزج إيليا أبو ماضى بين النزعة الإنسانية وتأمله فى الطبيعة، فالطبيعة في نفعها للبشر لا تفرق بين غنى وفقير ولا تميز بين جنس وآخر، بل تسطع شمسها للناس جميعا ، وتمنحهم ثمارها جميعا، لذا يجعلها دينه الذى يؤمن به ، لإنصافها وعدالتها، **يقول**:

ودينى الذى اختار الغدير لنفسه ويا حسن ما اختار الغدر وما أحلى

تجيء إليه الطي عطشى فترتوى وإن وردته الإبل لم يزجر الإبلا...إلخ[3]

---

1 -راجع:د.نادرة جميل سراج:شعراء الرابطة القلمية١٤٦.
2 - ندرة حداد:ديوان أوراق إلخريف ص١١٦.
3 - راجع:د. نادرة جميل سراج: شعراء الرابطة القلمية ص١٥١.

obeikandl.com

وحفل نثرهم بالحديث عن الحب، الحب الإنسانى الذى ينعش القلوب ويهذب النفوس، ويستشرق الجمال في كل أرجاء الكون، يقول جبران في كتابه دمعة وابتسامة"أنت أخى ، وكلانا ابن روح واحد قدوس...وأنت رفيقى على طريق الحياة...أنت إنسان ، وقد أحببتك يأخى ، خذ منى ما شئت ...أنت أخى وأنا أحبك" ويقول – أيضا – "لقد أحببتكم كثيراً وفوق الكثير، ففي ربيع قلبى كنت أترنم في جنانكم، ...قد أحببتكم جميعا جباركم وصعلوكم ، أبرصكم وصحيحكم، ...أحببتك أيها القوى مع أن آثار حوافرك لاتزال ظاهرة في لحمى، وأحببتك أيها الغنى في حين أن عسلك كان علقما في فمى ، أحببتك أيها الفقير مع أنك عرفت عارى وفراغ ذات يدى....(١).

ويقول ميخائيل نعيمةفى فصل(إخوة غرباء)من كتاب صوت العالم "أدركت ياأخى أننى ما خطوت خطوة في حياتى إلا كانت يدك في يدى، وساعدى إلى ساعدك، وكتفك إلى كتفى...وأننى حييت لابما في وحدتى من حياة ، بل مما فيك من حياة...وهاأنذا أستغفرك جميع ذنوبى إليك – ما أكثرها- فهلا غفرت"(٢).

التامل في الطبيعة:

ذكرنا تأثر أدباء المهجر بالمذهب الرومانسى ، الذى يتفق مع استعادهم النفسى، حيث الحساسية المفرطة، والتمرد على كل شىء، وقلة الاحتفال بمجارة العقل والخضوع لأحكامه، ولهذا يكثر في أشعرهم التغنى بجمال الطبيعة، التي

1 - جبران خليل جبران:السابق ط دار اليقظة العربية بيروت د. ت ص٤٩:٥٠.
2 - نقلا عن: عيسى الناعورى :أدب المهجر ص٥٩.

يتعزى بجمالها الناس عن آلام الحياة، فالطبيعة عند الشاعر الرومانتيكى معبد يأوى إليه ليستجم عندما تقسو الحياة[١].

تأخذ الطبيعة عند الشاعر المهجرى أكثر من منحى فنى، فهى مجال للتأمل في الكون ، الذى هو امتداد لعالم النفس(انطلاقا من نظرية وحدة الوجود)، وهى صورة جميلة رسمتها يد فنان عظيم، وهى رمز لجنة ضائعة فرارا من عالم الواقع وأدرانه، وهى رمز للقداسة إذا ما اقترن ذكرها بالوطن.

فمن النوع الأول (الطبيعة مجال للتأمل في الكون)ما نجده عند الشاعر ميخائيل نعيمة في قصيدة من أنت يا نفسى؟! ففيها يتساءل – كما ذكرنا – عن النفس كأى نفس إنسانية، جزء من هذا الكون في بحاره وأمواجه وسحبه...إلخ **يقول**:

- إن رأيت الريح تذرى الثلج عند رؤوس الجبال
- أو سمعت الريح تعوى في الدجى بين التلال
- تسكن الريح وتبقى باشتياق صاغية
- وأناديك ولكن أنت عنى قاصية

في محيط لاأراه

هل من الريح ولدت؟!...إلخ [٢].

ومن التأملات في الطبيعة والتى يتخذها إيليا أداة إقناع لبعث التفاؤل في نفس المتشائم ، **قوله في قصيدة المساء**:

- لافرق عند الليل بين النهر والمستنقع
- يخفى ابتسامات الطروب كأدمع المتوجع

---

1 - راجع:د.محمد مندور :في الأدب والنقد ص١٠٣.
2 - ميخائيل نعمة :ديوان همس الجفون ص١٦.

- إن الجمال يغيب مثل القبح تحت البرقع....إلخ [1].

الطبيعة رمز لجنة ضائعة، أو لعالم مثالى (يوتوبيا) يتصف بالصفاء والنقاء ، بعيداً عن عالم الصخب والضوضاء ، حيث الحياة الصاخبة التي تفتقد الروح والجمال والعلاقات الاجتماعية الهشة، فنسيب عريضة يصف الحياة في المدينة الأمريكية ، وما فيها من بروج مشيدة، وعمارات شاهقة، يتخليها تنانين هائلة تريد أن تنقض عليه، وهى بلاد وئدت فيها الطهارة والعفة، وفقد منها البشر الهناء، وماتت فيها الفضائل، لذا يكره العيش فيها ، ويحن لحياة البساطة على ضفة الغدير الرقراق:

نفسى على عهد البوا دى لم تزل بين الخيام
ولجلسة عند المسا ء لدى الغدير بلا كلام

أجدى إلى قلبى من الضو ضاء في المدن العظام[2].

وهذا ملمح رومانسى ، حيث التطلع إلى عالم خيالى جميل ، في أحضان الطبيعة، حيث السواقى والصخور، والفجر الضاحك، والعناقيد التي تتدلى من عرائش العنب، ويصبح العشب فراشا، والفضاء لحافاً، وإن كانت هذه الرؤية للطبيعة في جمالها وقدسيتها، قريبة من رؤية وردزورث وكولردج وبليك ، لذا قال نسيب عريضة في مقدمة المواكب"جبران في مواكبه لايقصد دعوة الناس للرجوع إلى الطبيعة، كما فعل مفكرو القرن الثامن عشر فى فرنسا وانكلترا، بل دعوته إنما

1 - إيليا أبو ماضى :ديوان الجداول قصيدة الطلاسم ص١٣ومابعدها.
2 - راجع :نسيب عريضة:الأرواح الحائرة ص١٦٩:١٧٠.

هى للرجوع إلى بساطةالحياة"[1] وكان جبران رائداً في اتخاذ الغاب رمزاً للحياة المثالية بعيداً عن حياة المدينة الصاخبة، في مطولته المواكب، **والتى يقول فيها** :

هـــل تخـــذت الغـــاب مثلـــى منـــــزلا دون القـــــصور
فتتبعـــــــت الـــــــسواقى وتـــــسلقت الـــــصخور
هـــــل تحممـــــت بعطـــــر وتنـــــــشقت بنـــــــور
وشـــــربت الفجـــــر خمـــــرا فـــي كـــؤوس مـــن أثيـــر
هـــل جلـــست العـــصر مثلـــى بـــــين جفنـــــات العنـــــب
والعناقيـــــــد تـــــــدلت كثريـــــات الـــــــذهب
هـــل فرشـــت العـــشب لـــيلا وتلحفـــــــت الفـــــــضا
زاهـــــدا فيمـــــا ســـــيأتى ناســـيا مـــا قـــد مـــضى[2]

ومن الموضوعات الشعرية التي كانت مطروقة من قبل ، ولكن الشاعر المهجرى أعطاها مذاقا جديدا، الحنين إلى الوطن، وعرف الحنين إلى الوطن منذ الشعر الجاهلى، في مقدمة قصائدهم ، كانوا يبكون الأطلال تذكرا لمن سكن هذه الدار، مصداقا لقول قيس بن الملوح:

وما حب الـــديار شـــغفن قلبـــى ولكن حب من ســـكن الـــديار

وعلل ابن الرومى لحب الناس لأوطانهم في قول:

وحبب أوطـــان الرجـــال إلـــيهم مآرب قضاها الشباب هنا لكـــا
إذا ذكـــروا أوطـــانهم ذكـــرتهم عهود الصبا فيها فحنوا لـــذلكا

ويشترك الشعراء المهجريون في الشمال والجنوب في هذا الملمح، لأنهم أبناء ظروف واحدة، وأنهم جميعا "مشدودون في أشعارهم بأسلاك وطنية، تخفق لها

1 - جبران خليل جبران :المواكب طبعة المقطم مصرعام ١٩٢٣ المقدمة بقلم نسيب عريضة ص١٠.
2 - جبران خليل جبران :المواكب طبعة المقطم مصرعام ١٩٢٣ ص٣٩.

قلـوبهم وأفئـدتهم، ولـيس هنـاك حـدث يحـدث في بلـدهم إلا ويهتـزون لهـا ويصيحون"[١].

وإن كان نلاحظ في دراستنا تفوق أدباء المهجر الجنوبى على أدباء المهجر الشمالى في هذا الملمح، ومرجع ذلك الاستقرار الذى حظى فيه أدباء الشمال عن أدباء أمريكا الجنوبية ، لمنح هؤلاء تأشيرة الإقامة، وافتقادهم الأمل في نهضة الأمة العربية وصلاحها بعد الحرب العالمية الثانية، وقد عبرت قصيدة أخي لميخائيل نعيمة عن هذا الشعور **في قوله**:

- أخى !من نحن؟ لاوطن ولا أهل ولاجار
- إذا نمنا ، إذا قمنا ردانا إلخزى والعر
- لقد خمت بنا الدنيا كما خمت بموتانا
- فهات الرفش واتبعنى لنحفر خندقا آخر

نوارى فيه أحيانا ...إلخ[٢]

ولكن لايعنى هذا خلو شعر المهجر الشمالى من شعر الحنين إلى الوطن فهناك قصائد للشعراء خاصة لإيليا أبى ماضى ورشيد أيوب ، تقطر صدقاً وتتفجر جمالاً في الشوق إلى الوطن ، والتنعم بذكراه، والهيام به ، **كقول رشيد أيوب**:

خلقت ولكن كى أموت بها حبا ... لذلك ترانى مستهاما بها وجدا

وما أنت ممن إن ترامت به النوى ... تروعه الدنيا ولو ملئت رعبا

ولكن لى في سفح صنين موطنا ... يعز على أن أفارقه غصبا

1 - د.شوقى ضيف:دراسات في الشعر العربى المعاصر ص٢٥٨.
2 - ميخائيل نعمة:همس الجفون ص١٨.

obeikandi.com

إذا ما ذكرت الأهل فيه فإننى لدى ذكرهم أستمطر الدمع منصبا..إلخ(١)

وذكرى الوطن عند إيليا أبى ماضى تمتزج بطبع الشاعر ونغمة التفاؤل التي تملأ روعه، ويستحضر طبيعته الغناء ، التي تريح العين والقلب والوجدان **يقول في قصيدة (لبنان)**:

اثنان أعيا الدهر أن يبليهما لبنان والأمل الذى لذويه

نشتاقه والصيف فوق هضباته ونحبه والثلج في واديه

وإذا الصبايا في الحقول كزهرها يضحكن ضحكا لاتكلف فيه

وطنى ستبقى الأرض عندى كلها حتى أعود إليه أرض التيه .إلخ(٢)

ومن صور التجديد عند أدباء المهجر في الشمال والجنوب نسجهم المطولات الشعرية، وقد كان جبران رائداً في هذا النهج في مطولته (المواكب التى سنعرض لها في دراستنا لجبران)وتبعه من شعراء المهجر الشمالى نسيب عريضة في (على طريق إرم)وإيليا أبو ماضى في(الطلاسم، والأسطورة الأزلية، والشاعر والسلطان الجائر) وبعض شعراء المهجر الجنوبى ، منهم شفيق معلوف في(عبقر)وفوزى المعلوف في (على بساط الريح)ونعمة قازان في (معلقة الأرز) وإلياس فرحات في (أحلام الراعى)والشاعر القروى في(الربيع الأخير).

ومن التجديد في شعر المهجر الشمالى والجنوبى في الموسيقى ، تجاوزهم للنهج الخليلى لنظام البيت العروضى ، وزنا وقافية، لقد أعجب شعراء المهاجر بالموشحات، ووجدوا فيها الشكل الموسيقى الطريف الذى يتجاوب مع أوزانهم الشعرية، لأن فيه من الطرافة والتنوع، وهذان الملمحان يعطيان الشاعر الحرية

1 - رشيد أيوب :الأيوبيات ط نيويورك عام ١٩١٦.ص٣٩.
2 - إيليا أبو ماضى :ديوان الخمائل ط دار صادر بيروت ص٨٠.

في الانطلاق والتغريد، **وعلل لذلك د. سيد البحراوى بقوله**"إن شعراء المهجر كان يساورهم الإحساس بعدم صلاحية الشكل القديم، وفى نفس الوقت عدم التخلى عنه، أو تحطيمه من الداخل...وكان عليهم أن يبحثوا عن أشكال جديدة تخرج بهم عن صرامة إطار الشكل القديم، وتحقق في نفس الوقت صياغة أفضل لما يحملان من رؤى جديدة، وتجارب جديدة"(١).

وقد عرف فن الموشح عند الأندلسيين ، وقد جاء هذا الفن نتاجاً لمتطلبات البيئة الأندلسية، حيث الطبيعة الفاتنة، وانتشار اللهو والطرب، وجاء شعرهم معبراً عن بيئتهم، لذا احتاج إلى شكل موسيقى ، يتصف بإلخفة والتنوع والطرافة ومن أشهر من كتب الموشح من الأندلسيين ابن زهر، وابن سهل ، ولسان الدين بن الخطيب، ويبدأ الموشح بمطلع يتكون من شطرين، أو أربعة ، يليه الدور وهو مجموعة الأبيات التي تلى المطلع، ويتكون من مجموعة من الأقسام، لاتقل عن ثلاثة ويمكن أن تصل إلى خمسة، بشرط الالتزام بنفس العدد في بقية الموشح ويتكون البيت في الموشح من الأغصان(مجموعة الأقسام بعد المطلع)ثم القفل ثم تختتم بالخرجة وهى آخر قفل في الموشح ، والموشح الذى لا يبدأ بالمطلع يسمى بالموشح الأقرع .(٢)

ولكن يلاحظ على شعراء المهجر أنهم لم ينقلوا الموشح بشكله المعهود في الموشحات الأندلسية، ولكنهم طوروا هذا الفن بما يتماشى مع ظروفهم ، حيث عاشوا في جو من الحرية، دفعهم على الانطلاق والتجديد، في الشعر عامة كما رأينا

1 - د.سيد البحراوى:موسيقى الشعر عند شعراء أبولو ط دار المعارف بمصر د. ت ص٧٥.
2 - راجع:ابن سناء الملك :دار الطراز في عمل الموشحات تحقيق جودة الركابى ط دمشق عام ١٩٤٩ ص٢٥ومابعدها.

obeikandi.com

، ومنه الشكل الموسيقى، و"قد ارتفعوا بالمستوى الفنى لهذه الموشحات وأشاعوا فيها الموسيقى العذبة، والرقة الغنائية الحلوة، وسموا بها عن التلاعب اللفظى، والزخرف الشكلى اللذين كانا يسيطران عليها في الأندلس"(١).

ونقف على نموذج لشكل الموشحة من قصيدة ابتهالات لميخائيل نعيمة:

كحـــــــل اللهـــــــم عينـــــــى

بـــــــشعاع مـــــــن ســـــــناك

كـــــــــــى تـــــــــــراك

في جميع الخلق! فى دود القبــور في نسور الجو ، في موج البحار

في صهاريج البرارى، في الزهور في الكلا في التبر في رمل القفار

وإذا ما ساورتها ســكتة النــوم العميــق

فاغمض اللهم جفنيها إلى أن تــستفيق(٢)

ونلاحظ على هذه القصيدة وغيرها، أنها لا تطابق"مطابقة حرفية بين هذا النظام ونظام الموشح ، كما أوضحه ابن سناء الملك في دار الطران، وذلك أن نظام الأجزاء والأقفال عندما يعرفه بأنه يتكون في الأكثر من ستة أقفال ، وخمسة أبيات، ويقال له التام، وفى الأقل من خمسة أبيات، ويقال له الأقرع، فالتام ما ابتدىء فيه بالأقفال، والأقرع ما ابتدىء فيه بالأبيات، لا يلتزم الشعراء بهذا الحد الذى وصفه ابن سناء الملك ، وإن كانوا يلتزمون الفكرة التي بنى على أساسها"(٣).

---

1 - د.حسن جاد :الأدب العربى في المهجر دار الطباعة المحمدية عام ١٩٦٣ص٣٤٧.

2 - ميخائيل نعيمة: همس الجفون ص٣٥.

3 - د.حلمى بدير: الشعر المترجم وحركة التجديد في الشعر الحديث دار المعارف بمصر ط٢ عام ١٩٩١ص٢٨١.

وهذا ما لاحظه – أيضا – أنيس المقدسى في قوله"التوشيح الجديد متأثر من جهة بالطريقة الأندلسية، ومن جهة أخرى بأساليب النظم عند الغربيين ويظهر هذا التأثير المزدوج في موافقته للتوشيح في الأندلس، ومخالفته له في عدم التقيد بالمطالع اللازمة" (١).

ومن التجديد الموسيقى عندهم تنوع القافية، وقد أعلن ميخائيل نعيمه تمرده على نظام القافية في كتابه الغربال، الذى تزامن نشره مع كتاب الديوان للعقاد والمازنى ، وقد ثارا (الأخيران) أيضا على التمسك بالقافية الموحدة، ونادا بالشعر المرسل الذى تتنوع فيه القافية، يقول ميخائيل نعيمة"أن القافية العربية السائدة إلى اليوم ليست سوى قيد من حديد، يربط قرائح شعرائنا، وقد حان تحطيمه"(٢).

ومن الشعراء الذين تحرروا من نوعوا في القافية جبران ، ونستشهد هنا بقوله في قصيدة الشحرور:

أيهـــا الـــشحرور غـــرد فالغنـــا ســـر الوجـــود
ليتنـــى مثلـــك حـــر مـــن ســـجون وقيـــود
ليتنـــى مثلـــك روح فـــي فـــضا الـــوادى أطيـــر
أشـــرب النـــور مـــداما في كئوس من أثير.....إلـــخ

وقد فطن الشاعر المهجرى إلى أن الإيقاع ليس في الوزن والقافية فقط وإنما هو روح تسرى في القصيدة، مرجعه الموسيقى الداخلية التي نستشعرها في تجانس الحروف في الكلمات ، وفى تلائم الكلمات واتساقها فيما بينها، فكثير

1 - أنيس الخورى المقدسى: الاتجاهات الأدبية في العالم العربى الحديث ط بيروت عام ١٩٥٢ج٣ص١٩٣.
2 - ميخائيل نعيمة :الغربال ط دار صادر بيروت عام ١٩٦٠ص٧٠.

من قصائد شعرهم نراه سيمفونية جميلة ، ولعل هذا ما أطلق عليه د.محمد مندور الشعر المهموس، ومن القصائد التي مثل بها لشعراء المهاجر قصيدة أخى لميخائيل نعيمة، وقصد بالشعر المهموس، إحساس بتأثير عناصر اللغة ، واستخدام تلك العناصر في تحريك النفوس وشفائها مما تجد...يحدث عن أي شيء همس به فيثير فؤادك.(١)

٢ - أبرز أدباء المهجر الشمالى

[حياتهم- إبداعاتهم- السمات الفنية لإبداعاتهم]

١- جبران خليل جبران

ولد جبران خليل جبران في السادس من يناير عام ١٨٨٣ في قرية بشرى لأبوين من عامة الشعب،هما خليل جبران ، وكاملة رحمة، كان والده يعمل في تجارة الماشية، وعدها لتقدير الضريبة عليها ، تأثر بأمه كثيرا ، فكانت تقص له الحكايات وتغنى له الأغانى الشعبية، مما عمل على تفتق موهبته الأدبية صغيراً فظهر نبوغه وتطلعه الأدبى، صاحب هذا التطلع الأدبى والموهبة خيال بارع مصحوبا بمعان إنسانية ، فاتسع قلبه لحب الناس والحياة، وعمق هذه المشاعر الطبيعة الغناء التي نشأ في أحضانها بلبنان، هاجر أخوه بطرس إلى بوسطن (بصحبة الأسرة ماعدا الأب) وكان جبران وقتها في الثانية عشرة من عمره، وأخذ معه بقية الأسرة ، ومكث معه عامين، وبعدها طلب من أمه الرجوع إلى لبنان لإكمال دراسته العربية ووافقت على طلبه، فقضى أربع سنوات درس فيها اللغة العربية وآدابها، وشيئا من اللغة الفرنسية ، في مدرسة الحكمة بلبنان وبعدها رجع إلى بوسطن ، وهناك صدم بمجموعة من النكبات ، أولها وفاة أخته سلطانة عام

1 - راجع د.محمد مندور : في الميزان الجديد ط دار نهضة مصر د.ت ص٦٥ومابعدها.

١٩٠٢، ثم موت أخيه بطرس ثم موت أمه في نفس العام ١٩٠٣ اظلمت الدنيا أمامه ، وأصبح عائلاً لأسرته المكونة منه ومن أخته مريانة التى تصغره بعام ونصف، ولم يكن مؤهلاً للعمل ، اعتمد على دخل أخته التى كانت تعمل ، وامتدت إليه يد كريمة هى السيدة الأمريكية (مارى هاسكل)حيث قدمت له منحة شهرية (قدرها خمسة وسبعون دولاراً أمريكياً كل شهر)، لإكمال دراسته في باريس، وسافر إلى باريس عام ١٩٠٩لتعلم الرسم ، وقد استفاد من هذه الرحلة إفادة طيبة ، فتتلمذ على يد النحات الشهير (رودان)وحصل على شهادة الامتياز فى كلية الفنون الفرنسية وعضوية الشرف في جمعية الرسامين الإنجليز، ودرس الرسم في أكاديمية جوليان وعاد إلى بوسطن بعد عام ونصف تقريبا عام ١٩١٠ وهو مؤهل لممارسة الرسم على أحدث المذاهب الفنية ، وقرأ لمشاهير الكتاب الفرنسيين ، واطلع على آدابهم ونماذجهم الكتابية، وبعدها رحل إلى نيويورك وهناك اعتمد على موهبته في الرسم فدرت عليه دخلاً مجزياً ، وكون ثروة كبيرة وأقام في نيويورك معرضين لرسوماته في قاعة مونتروس ، وفى قاعة كنودلر ، وفى عام ١٩١٨-وبعد اطمئنانه على مستواه المادى- أخذ يزاول مهنة الأدب ، وحتى هذا التاريخ لم نعرف عنه سوى مجموعة مقالات جمعت فما بعد تحت عنوان العواصف، وجاءت كتاباته معبرة عن روح الشرق ، وسط زيف حضارة الغرب ، وما فيها من قسوة وغش وخداع، فظهر له كتابان (المجنون والسابق)عام ١٩١٨وعام ١٩٢٠ ، وفى العام نفسه أسس مع زملائه الأدباء الرابطة القلمية ، وانتخبوه رئيساً لهذه الرابطة، التي يعد (جبران) فيلسوفها الأول ومفكرها ورائد التجديد فيها بأفكاره الروحانية ، وكتاباته ذات القيمة الأدبية العالية، ولم يكن هذان الكتابان

السابقان سوى مقدمة لكتابه الروحى العظيم (النبى)عام ١٩٢٣وقد عمل هذا الكتاب ثورة ثقافية ، لقيمته الفنية فى التجديد، واتبع هذا الكتاب بكتابين آخرين عيسى بن الإنسان، وحديقة النبى، الذى طبع بعد وفاته، بدأ المرض ينسل في جسده وهو يقاوم غير مستضعف وكتب بجد حتى وفاته في العاشر من أبريل ١٩٣١م.

كان جبران إنساناً مرهف الحس ، قوى الملاحظة، شديد التأثر ، سريع الانفعال ، حاد الطبع إذا استفز، ولكنه كان متساهلاً ، سرعان ما يهدأ لأن الحقد لا يعرف لقلبه طريقا، تنقل جبران في بيئات ثلاث ، لبنان وأمريكا وباريس ، ففي بلده بشرى تعلم من مدرسة الحكمة وما فيها من جرعة إيمانية، وقد أمدت هذه البيئة خياله الخصب بالصور الرائعة من طبيعتها الساحرة، البيئة الثانية (أمريكا)حيث فتحت عينيه على موضوعات ما كان يتسنى له أن يعرفها ، فكتب عن حقوق الفرد في ثلاثية روحية (الحق والخير والجمال)البيئة الثالثة(باريس)تعلم فيها أصول الرسم ، واطلع فيها على أدبها الرومانسى ، وتعلم فيها الفن والفلسفة، وقد تأثر في ثقافته الفلسفية بفلسفة نيتشه الألمانى في الحياة والوجود، وبفلسفة إمرسون ، وقد جاء أدبه ذو سمات خاصة ، لأنه نتاج هذا إلخليط الثقافى ، لنجد تجديداً في موضوعاته ، وتحرراً في طرائقه الأسلوبية ، وبعداً فلسفياً وتمرداً متشائماً، وراحةً نفسيةً خاضعة لقوى كبرى...(١)

1 - راجع:عدنان يوسف سكيك :النزعة الإنسانية عند جبران ط الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٧٠ص١٣:٢٧، وراجع :خير الدين الزركلى :الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستشرقين ط٣ بيروت عام ١٩٦٣ج٢ص١٠٠.

وكان جبران أول من كتب القصة، ففي أول كتابه (عرائس الكروم)الذى نشره عام ١٩٠٧ ثلاث قصص، وقد عبر في قصته الأولى عن التناسخ، تلك الفكرة التي جاءت نتيجة لتأثره بالفكر الغربى، وخاصة فلسفة نيتشه، وفى القصة الثانية يحمل المجتمع سقوط الأفراد ضحية لأخطائه، وفى الثالثة يصور لنا انحراف الكنيسة أما تصوير الشخصيات وانفعالاتها، والأحداث وزمانها ، ومكانها، فإنها تبدو باهتة أو معدومة في قصصه الثلاث، ونشر عام ١٩٠٨كتابه (الأرواح المتمردة)الذى اشتمل على أربع قصص (وردة الهانى، صراخ القبور، مضجع العروس، خليل الكافر)ونقد عدنان سكيك هذه القصص فقال"تفتقر إلى العناصر الفنية الأولية للقصة، فالحبكة غير موجودة، وعنصر التشويق غير متوفر والشخصيات تنقصها الحركة، والتعبير عن ذاتها، وكل ما فعله جبران أنه راح يتقمص كل شخصية من أبطال قصصه ليحكى على لسانها كل ما يدور في ذهنه من آراء تنتقد المجتمع وتقاليده وشرائعه الباطلة، وتسلسل الأحداث لا يأخذ شكلاً واقعياً أوطبيعياً، فهو يقتحم الموقف ...بآرائه وانتقاداته التى يريد أن يبسطها للناس، وهو لايدرى أنه طغى على القالب الفنى"(١).

وفى عام ١٩١٢ نشر الأجنحة المتكسرة ، وهى آخر محاولاته في فن القصة وهذه القصة أنضج فنياً من القصص السابقة، وعبر فيها عن تجربته الذاتية التي استمدها من واقع الحياة، فالأحداث واقعية إلى حد كبير، بعيدة عن المبالغات والمواقف الخيالية، ولكنه فشل في تصوير شخصياته، اللهم إلا شخصية نفسه التي أجاد في تصورها، والتعبير عن مختلف انفعالاتها.

1 - عدنان يوسف سكيك:النزعة الإنسانية عند جبران ص٧٩.

ولكن يعذر جبران في هذا فأية بداية فنية يعتورها كثير من العقبات ولا تظهر فى صورة مستوية لأول مرة، وينطبق حكمنا على قصصه من حيث الضعف الفنى على مسرحياته التي كتبها، فقد كتب مسرحية (الصلبان)ضمنها كتابه العواصف، وهى تدور حول موضوع ابتذال الفن في الشرق، كما كتب مسرحية(إرم ذات العماد)في كتابه البدائع والطرائف، وضمنها بعض آرائه عن وحدة الأديان، ووحدة الوجود، والروح و الجسد، والإيمان بالله...إلخ.

ترك لنا ستة عشر مؤلفاً ثمانية باللغة العربية ، ومثلها باللغة الإنجليزية كالآتى :**مؤلفات باللغة العربية** :

١- الموسيقى طبع عام ١٩٠٥.

٢- عرائس المروج طبع عام ١٩٠٧.

٣-دمعة وابتسامة طبع عام ١٩١٤.

٤-الأرواح المتمردة طبع عام ١٩٠٨.

٥-الأجنحة المتكسرة طبع عام ١٩١٢.

٦- المواكب(شعر)طبع عام ١٩١٩.

٧ -العواصف طبع عام ١٩٢٠.

٨-البدائع والطرائف طبع عام ١٩٢٣.

مؤلفات باللغة الإنجليزية:

١-المجنون طبع عام ١٩١٨.

٢- السابق طبع عام ١٩٢٠.

٣- النبى طبع عام ١٩٢٣.

٤- رمل وزبد طبع عام ١٩٢٦.

obeikandl.com

٥-عيسى بن الإنسان طبع عام ١٩٢٨.

٦-آلهة الأرض طبع عام١٩٣٢.

٧-حديقة النبى طبع عام ١٩٣٣.

٨-التائه طبع عام ١٩٣٣.

ونقف على نماذج من كتاباته، تدلل على منهجه الفنى، حيث التمرد والروح الرومانسية، التى تتصف بالخيال البعيد، ورقة الألفاظ ونضارتها، **يقول في الأجنحة المتكسرة:**

خرجنا إلى الحديقة ، وسرنا بين الأشجار ، شاعرين بأصابع النسيم الخفية، تلامس وجهينا ، وقامات الأزهار والأعشاب ... تتمايل بين أقدامنا، حتى إذا ما بلغنا شجرة الياسمين ، جلسنا صامتين، على ذلك المقعد الخشبى نسمع تنفس الطبيعة النائمة، ونكشف بحلاوة التنهد خفايا صدرينا أمام عيون السماء الناظرة إلينا...وطلع القمر ..ومن وراء صنين ، وغمر بنوره تلك الروابى والشواطىء فظهرت القرى على أكتاف الأودية، كأنما انبعثت من لا شىء ، وبان لبنان جميعه تحت تلك الأشعة الفضية، كأنه فتى متكىء على ساعده تحت نقاب لطيف...وأنا قد رأيت لبنان في تلك الليلة مثل فكر شعرى خيالى منتصب، كالحلم بين اليقظة واللايقظة، كذا تتغير الأشياء أمام أعيننا بتغيرعواطفنا، وهكذا نتوهم الأشياء متسخة كالسحر والجمال ، عندما لا يكون السحر والجمال إلا في نفوسنا ..(١)

ولعلنا نلاحظ أسلوبه الشاعرى ، الذى يقترن كثيرا بالخيال المجنح ، وكان هذا الأسلوب تمهيداً للشعر المنثور بعد ذلك، وإن سبقه الريحانى في ذلك، ولكن هذا لايمنع أن نقر بريادة جبران لهذا النهج الشعرى ، خاصة أنه عاصر أمين الريحانى وظهرت شخصيته المستقلة لا المقلدة.

1 - الأجنحة المتكسرة ص٢٦:٢٧.نقلا عن عدنان يوسف سكيك:النزعة الإنسانية عند جبران ص٦٥.

الشعرى يقول في إحدى قطعه التى يتوافر فيها الطابع الرومانسى وأسلوبه:

جاء الربيع وتكلمت الطبيعة بألسنة السواقى ففرحت القلوب، وابتسمت بشفاه الأزهار، فأسعدت النفس، ثم غضبت ودكت المدينة الجميلة، فأنست الإنسان عذوبة كلماتها ورقة ابتساماتها، قوة عمياء مخيفة نقضت بساعة ما أقامته الأجيال، موت ظلوم قبض بأظافره المحدودة على الأعناق فسحقها بقساوة، نار آكلة التهمت الأرزاق والأعمار ، ليل قائم أخفى جمال الحياة، تحت لحاف الرماد، عناصر هائلة هبت من مرابضها ، وقاتلت الإنسان الضعيف، وضربت مساكنه ، وذرت بسرعة ما جمعه بالتأنى ، زلزال عنيف حبلت به الأرض ، فتمخضت متوجعة ولم تلد غير الخراب والشقاء..(١)

قال عنه عدنان يوسف سكيك اشتهر جبران بالشعر المنثور، وأبدع فيه كل الإبداع لأنه يتناسب وطبيعة جبران المحبة للتحرر والانطلاق والانعتاق من كل قيد وقد شاع هذا اللون من الشعر في الآداب الأوربية، أبان ثورتها الرومانسية على القديم بجميع قيوده ، وليس من السهل أن نحدد متى وأين تأثر جبران بهذا اللون من الشعر الغربى، ولكنه أثر من آثار قراءاته الواسعة في الآداب الغربية شعراً ونثراً(٢).

وقد يأخذ أسلوبه الشعرى المنثور شكل السطر الشعرى كما في في عصرنا، كقوله:

- لقد أحببتكم كثيرا وفوق الكثير.
- فقد أحببت الواحد منكم كما لوكان كلكم.
- وأحببتكم جميعا كما لو كنتم واحدا.
- ففى ربيع قلبى كنت أترنم فى جنانكم.
- وفى صيف قلبى كنت أحرس بيادركم.

---

1 - دمعة وابتسامة ص٦١نقلا عن عدنان يوسف سكيك:النزعة الإنسانية عند جبران ص٧٦.
2 - راجع:عدنان يوسف سكيك :النزعة الإنسانية عند جبران ص٧٥.

أجل قد أحببتكم جميعكم جباركم وصعلوككم، أبرصكم وصحيحكم، وأحببت من يلتمس منكم سبيله فى الظلام كمن رقص أيامه على الحبال والآكام.
أحببتك أيها القوى ، مع أن آثار حوافرك الحديدية لاتزال ظاهرة فى لحمى.
وأحببتك أيها الضعيف على الرغم أنك جففت إيمانى وعطلت على صبرى.
أحببتك أيها الغنى فى حين أعسلك كان علقما فى فمى...
سأحبكم أكثر وأكثر ، ولكنى سوف أسدل على محبتى ستارا من البغض واستر عطفى بشديد كرهى .[1]

وجاء شعره امتدادا لنهجه الفكرى ، وآرائه التي عرضنا لها ، ونقف هنا على مطولته المواكب، والتى تبرز ريادته للمطولات الشعرية فى العصر الحديث وفى الوقت نفسه يتجسد فيها آراؤه الفكرية ، حيث التسامى (متأثرا بمذهب إمرسن فى التسامى) فكما تقول بربارة يونج"إن وحدة الإنسان والطبيعة في الصخر، في الغيوم ، في الشجر، في النهر في الشلال، تتضح أبدا بشكل ظاهر في جميع إنتاج قلمه(جبران) وريشته"[2].

فامرسن كان يعتقد بأن هناك جوهراً كلياً يسيطر على الطبيعة، يتجلى في كل جزء من أجزاء الطبيعة، في الشجر، في الرياح، في الأمطار، في الأزهار...إلخ والإنسان جزء من أجزاء الطبيعة، وما علينا إلا أن نكتشف هذه الوحدة، فمطولة المواكب تعد دليلاً على تأثره بفكرة إمرسن في الرجوع إلى الطبيعة، بعيداً عن التكلف والرياء الذى يلازم حياة المدنية، فهناك في الغابة – بين أحضان الطبيعة- يتساوى العبد مع الحر، والضعيف مع القوى، والجاهل مع العالم، فالكل أمام

1 - جبران خليل جبران:السابق ط دار اليقظة العربية بيروت د. ت ص٤٩:٥٠.
2 - بربارة يونج:هذا الرجل من لبنان – ترجمة سعيد بابا ط دار الأندلس لبنان د.ت ص٥٨.

أمهم (الطبيعة) متساوون، لا يشوب حياتهم خداع ولا رياء، ولا يقيمون بينهم دينا يبشر بالنعيم، أو الجحيم، و لا يتفاخرون فيما بينهم بالأمجاد الزائفة، والقصيدة مكونة من مائتين وثلاثة أبيات، بناها الشاعر على صوتين، صوت الشيخ الخارج من المدينة، مثقلا بهمومها، وصوت الفتى المرح الخارج من الغاب، في أحد عشر مشهداً، فالشيخ إلخارج من المدينة يصور حياة المجتمع ، بما فيها من خداع ونفاق، وغدر، ...إلخ.

والفتى إلخارج من الغاب يعزف على نايه بمرح ونشوة، فهو يمثل الحياة المجردة التي تهدى إلى نور المعرفة الحقيقية، وإلى الجمال المطلق، ... وهو الهادى إلى سعادة الإنسان حيث الخير والحب والجمال...وقد عاش جبران عمره كله لنشر مبادئه بين الناس(١).

تبدأ القصيدة برسم صورة مقززة لعلاقة الناس بعضهم ببعض ، يقول على لسان الشيخ:

الخير في الناس مصنوع إذا جبروا ... والشر في الناس لايفنى وإن قبروا

وأكثر الناس آلات تحركها ... أصابع الدهر يوما ثم تنكسر

فأفضل الناس قطعان يسير بها ... صوت الرعاة ومن لم يمش يندثر

ويرد عليه الفتى:

ليس في الغابات راع ... لاولا فيها القطيع

فالشتا يمشى ولكن ... لايجاريه الربيع

أعطنى الناى وغنى ... فالغنى يرعى العقول

1 - راجع:عيسى الناعورى:أدب المهجر ص٢٧٤.

والمشهد الثانى يصور على لسان الشيخ أن الحياة وهم فارغ، وسكر، يضلل الناس يقول:

قد قل في الأرض من رضى الحياة كما ... تأتيه عفوا ، ولم يحكم بها الضجر

لذاك قد حولوا نهر الحياة إلى ... أكواب وهم إذا طافوا بها خدروا

فالناس إن شربوا سروا ، كأنهمو ... رهن الهوى وعلى التخدر قد فطروا

فيرد الفتى ساخرا من حماقات الناس:

ليس في الغابات سكر ... من خيال أو مدام

فالسواقى ليس فيها ... غير إكسير النعام

إنما التخدير ثدى ... وحليب للأنام

ويظل هذا الحوار بين الشيخ والفتى، يقول الشيخ، ويرد الفتى بما يناقض فكر الشيخ، في المشهد الثالث يتحدث الشيخ عن ضياع العدل ، ورد الفتى بما يناقض رأيه، وفى المشهد الرابع يتحدث الشيخ عن مبدأ القوة، ويرد الفتى ساخراً من فهم الناس للقوة والضعف، فلا ضعف ولا قوة في الحياة....إلخ .

وفي النهاية يدعو الفتى الشيخ بأن يتخذ الغاب مكاناً ومأوى ، فالشيخ يمثل الحياة الواقعية التي يعيشها الناس بما فيها ، من صراع ، وكذب، ورياء وفتن وانحرافات، وظلم ... إلخ، أما الفتى فيمثل الأمانى الخيالية التي يتمناها الإنسان(الحق والعدل والحب والجمال ...إلخ)**وفي النهاية يتوجه الفتى للشيخ قائلا:**

هل تخذت الغاب مثلى ... منزلا دون القصور

فتتبعت السواقى ... وتسلقت الصخور

هل تحممت بعطر ... وتنشقت بنور

وشـــربت الفجـــر خمـــرا فـــي كـــؤوس مـــن أثيـــر
هـــل جلـــست العـــصر مثلـــى بـــين جفنـــات العنـــب
والعناقيـــــد تـــــدلت كثريـــــات الـــــذهب
هـــل فرشـــت العـــشب لـــيلا وتلحفـــــت الفـــــضا
زاهـــــدا فيمـــــا ســـــيأتى ناســـيا مـــا قـــد مـــضى[1]

الغاب كما ذكرنا رمز لمجتمع مثالى ، يسود فيه الحب والخير والجمال ويصعب تحقيق هذه المثل في الحياة ، كما قال الشاعر على لسان الشيخ:

العيش في الغاب والأيام لو نظمت في قبضتى لغدت في الغاب تنتثر
لكن هو الدهر في نفسى لـــه أرب فكلما رمـــت غابـــا راح يعتـــذر

٢- إيليا أبوماضى

ولد إيليا أبو ماضى في قرية المحيدثة في لبنان عام١٨٨٩، وتوفى عام ١٩٥٧ قضى بعد ولادته أحد عشر عاماً في لبنان ، حصل فيها على الشهادة الابتدائية وبعدها رحل إلى مصر عام ١٩٠٢م، وهو في الحادية عشرة من عمره ، عاش أحد عشر عاما في مصر، يعمل في بيع السجائر ، أنتج في هذه الفترة ديوان تذكار الماضى ثم هاجر إلى أمريكا عام ١٩٢٢م، وعمل في التجارة مع أخيه مراد في ولاية سنستانى، ثم انتقل إلى نيويورك للعمل مدير تحرير (الفتاة)التي كان يصدرها شكرى البخاش، وفى عام ١٩٢٨انصرف لتحرير مجلة مرآة الغرب، وفى عام ١٩٢٩م أصدر مجلة السمير ، التي كانت تصدر مرتين في الشهر، ثم تحولت إلى جريدة يومية عام ١٩٣٦م، وظل يحررها حتى وفاته عام ١٩٥٧.

1 - جبران خليل جبران :المواكب طبعة المقطم مصر عام ١٩٢٣ ص٣٩.

obeikandl.com

لم يحضر اجتماع تأسيس الرابطة القلمية عام ١٩٢٠، ولكنه صار بعد ذلك عضوا فاعلا بها ، وعنوانا لشعرائها لما اتصف به شعره من نضج أفكاره وخيالاته ونصاعة أسلوبه، وذيوع شعره.

لقد صار مع جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة أقطاب جماعة الرابطة القلمية ، وإن كان الأثر الأكبر للتوجه الفكرى والروحى لهذه الجماعة لجبران وإذا كان نعيمة قد تأثر كثيراً بأفكار جبران في الأخوة الإنسانية ، ووحدة الوجود والفلسفة الروحية، وتفوق عليه بنصاعة العبارة ، فإن أبا ماضى قد استقل بشخصية شعرية قوية عارمة ، وإن تأثر أحيانا ببعض أفكار جبران ، ولكنه لم يتخذها مذهبا فكرياً كما اتخذها جبران ونعيمة، وقد ذاع صيت إيليا وشهرته لما يتمتع به من موهبة شعرية عالية ، ولما بلغت قصائده ذات الطابع الإنسانى (نذكر منها فلسفة الحياة ، المساء ، ابتسم ، الطلاسم...إلخ) من الشهرة والذيوع على ألسنة المثقفين ، على اختلاف مستواهم الثقافى فى الوطن العربى .

أما عن أعماله الشعرية التي تركها للمكتبة العربية ، فهى تذكار الماضى ديوان إيليا أبو ماضى ، الجداول ، الخمائل ، وتبر وتراب(مجموعة القصائد التي جمعت وطبعت بعد مماته)[١].

وإذا تتبعنا لمراحل حياته الفنية من خلال دواوينه، فديوانه الأول (تذكار الماضى)يعد المرحلة الأولى، وكانت مرحلة متواضعة ، في بداية إبداعاته الفنية

1 - راجع : عيسى الناعورى أدب المهجر ص ٣٨١:٣٨٨.ود.نادرة سراج شعراء الرابطة القلمية ص ٣١:٣٢٤.

ومرجع ذلك ، كما يقول زهير ميرزا "إن الشاعر كان ضعيف الثقافة ، ضعيف التحيل ضعيف الاطلاع على مفردات اللغة ، ضعيف الإلمام بقواعدها وأدواتها"(١).

ولكن لم يمنع ذلك من وجود بعض القصائد والمقطوعات الحسنة النظم في هذا الديوان ، والديوان الثانى امتداد لهذه المرحلة ، فنجد فيه كثيراً من القصائد المعارضة للمتنبى وأبى نواس والبارودى...إلخ.

أما المرحلة الثانية وهى مرحلة التجديد والازدهار الفنى، وكان ذلك في ديوانه الجداول ، وكان وقتها قد انضم إلى الرابطة القلمية، وتشرب مبادءها وآراءها الفكرية، لذا فلا غرابة أن يفتتح ديوان الجداول **بقوله**:

لست منى إن حسبت الشعر ألفاظا ووزنا
خالفت دربك دربى وانقضى ماكان منا...إلخ

ففي هذا الديوان كان يهتم بالمعانى ، ويعرض عن زخرفة الألفاظ، وروعة التشبيهات ، وتكلف الأوزان، نحن إزاء أفكار ومعان سامية وخيالات وتصورات جميلة موحية ، ولهذا السبب كان ديوان الجداول نقطة تحول في شعر أبى ماضى بل وفى شعر الرابطة القلمية وشعر المهجر عامة.

أما المرحلة الأخيرة والتى هى امتداد للمرحلة السابقة ، فكانت عند صدور ديوان الخمائل ، والتى اشتمل على قطع شعرية تخيلية روحية ، تنقل القارىء إلى عالم من إلخيال الروحى السامى ، كما في قصته الشعرية في قصيدته (أمنية إلهة) **حيث يقول على لسان تلك الإلهة**:

أريد دنيا فيها شعاع يبقى إذا غابت النجوم

1 - زهير ميرزا: إيليا أبو ماضى شاعر المهجر الأكبر ط دار اليقظة العربية دمشق عام ١٩٥٤ص٥٣.

أريـــد دنيـــا تحـــس نفـــسى فيهـــا نفوســـا بغيـــر جـــسوم
أريـــد خمـــرا بـــلا كئـــوس من غير مـــا تنبـــت الكـــروم
أريـــد عطـــورا بـــلا زهـــور يسرى وإن لم يكن نسيم إلـــخ [1]

لقد تأثر في هذه الأبيات بالشاعر الروحى (وليم بليك) الذى اتصف- كما مر بنا – بالسمو الروحى والشفافية البعيدة، وقد كان جبران أول شعراء المهجر الذين تأثروا بهذا الشاعر، وتأثر بجبران شعراء المهجر من بعد ومنهم إيليا.

ويصدق عليه قول عيسى الناعورى"أبو ماضى خير مثال للشاعر الحق بكل معانيه ، فهو شاعر في روحه، وفى أفكاره ، وعاطفته وخياله، وشاعر في أسلوبه وفى ألفاظه وتعابيره وصوره، ...وتظهر في شعره صور الحياة والمجتمع الإنسانى زاخـرة بـالعواطف، جياشـة بالحيـاة ، دافقـة بالجمـال والـرؤى الـساحرة وأن الشاعر الحق صاحب رسالة ، ...يقرأه الناس على اختلاف مشاربهم وأذواقهم وطبقاتهم ، وعلى تباعد أوطانهم وأقوامهم، ويشعر كل منهم بأنه يرى فيه صورة لنفسه، وصورة عواطفه، وتعبيرا عن آماله ونوازعه"[2] .

ومن الظواهر الفنية في شعره التأمل الروحى ، والنزعة الإنسانية والتأمل في الطبيعة، واستخدام الرمز ، والمطولات الشعرية، أما عن الملمح الأول (التأمل الروحى) نرى هذا الملمح، في مقطوعاته في ديوان الجداول ، وخاصة في قصائد: الناسكة، في القفر، نارالقرى، الزمان، السجينة، ففي القصيدة الأخيرة والتى يخاطب فيها زهرة ، يبث فيها معاناته للحرية ، تغنى بها في الطبيعة ، وفى معانقة نورها ، ونسميها وريحها ، وفراشاتها وفضائها ، فهى زهرة رومانسية

1 - إيليا أبو ماضى :ديوان الخمائل ط دار صادر بيروت د.ت ص٢١.
2 - عيسى الناعورى:أدب المهجر ص٢٩٣.

انثالت بها عواطف الشاعر وخواطره، ورثاها كمن يرثى مصيرحي يعانى فاجعة الرق والموت ، **يقول** :

لعمرك ما حزنـــى لمـــال فقدتـــه ولاخان عهدى في الحياة حبيب
ولكننى أبكـــى وأنـــدب زهـــرة جناها ولوع بـــالزهور لعـــوب
رأها يحل الفجر عقـــد جفونهـــا ويلقى عليهـــا تبـــره فيـــذوب
وينفض عن أعطافها النور لؤلؤا من الطل ما ضمت عليه جيـــوب
فعالجها حتى استوت في يمينـــه وعاد إلى مغناه وهو طـــروب
وشاء فأمست في الإناء ســـجينة لتشبع منها أعـــين وقلـــوب [1]

ويقول على لسان البلبل :

ليس الحظوظ من الجسوم وشكلها السر كل الـــسر فـــي الأرواح

وهذا التأمل دفعه إلى الشك والارتياب، في أمور كثيرة ، في الحياة والكون ولعل قصيدة الطلاسم (ديوان الجداول ص ٨٩ وما بعدها)أكثر القصائد تعبيراً عن حيرته وقلقه، **ونستشهد ببعض أبياتها التي تبرز لنا القلق والحيرة** :

- أترانى قبلما أصبحت إنسانا سويا
- كنت محوا، أو محالا أم ترانى كنت شيا
- ألهذا اللغز حل؟أم سيبقى أبديا؟!
- لست أدرى ، ولماذا لست أدرى؟!

لست أدرى؟!

- إننى أشهد في نفسى صراعا

1 - إيليا الحاوى:إيليا أبو ماضى شاعر التساؤل والتفاؤل ط دار الكتاب اللبنانى بيروت عام ١٩٧٢ ص ١٥٧:١٥٨.

obeikandl.com

- وأرى ذاتى شيطانا وأحيانا ملاكا
- هل أنا شخصان يأبى هذا مع ذاك اشتراكا
- أم ترانى وهما فيما أراه؟!

لست أدرى؟!

- كل يوم لى شأن، كل حين لى شعور
- هل أنا اليوم أنا منذ أيام وشهور
- أم أنا عند غروب الشمس غيرى في البكور
- كلما ساءلت نفسى جاوبتنى

لست أدرى؟!

أما عن النزعة الإنسانية في شعر إيليا أبى ماضى ، فهو يدعو في شعره إلى إخوة ترى الناس سواسية ، وكل إنسان في حاجة أخيه الإنسان ، لا فرق بين غنى وفقير، أو عظيم وحقر، ولئن سبقت هذه الفكرة في شتى الأديان السماوية إلا أن الشاعر يتفنن بالأدلة في مبرهنا على رؤيته، **كقوله في قصيدة الطين** :

نسى الطين ساعة أنه طين ... حقير فصال تيها وعربد
وكسا إلخز جسمه فتباهى ... وحوى المال كيسه فتمرد
يأخى لا تمل بوجهك عنى ... ما أنا فحمة ولاأنت فرقد
أمان كلها من تراب ... وأمانيك كلها من عسجد
لا فهذى وتلك تأتى وتمضى ... كذويها وأى شىء يؤيد
قمر واحد يطل علينا ... وعلى الكوخ والبناء الموطد
النجوم التي تراها أراها ... حين تخفى وحين تتوقد
أيها الطين لست أنقى وأسمى ... من تراب تدوس أو تتوسد

obeikandl.com

سدت أم لـم تـسد فمـا أنـت إلا حيـــوان مـــسير مـــستعبد
لايكـــن للخـــصام قلبـــك مـــأوى إن قلبى للحب أصبح معبد ..إلخ(١)

وقد ساد شعره نغمة تفاؤل واستبشار، للإقبال على الحياة والناس، لزرع الحب فيها ، بعيداً عن التشاؤم والكره ، الذى يجعل الحياة جحيما ، **يقول في قصيدة ابتسم**:

قـــال :الحيـــاة كئيبـــة وتجهمـــا قلت: ابتسم يكفى التجهم في السما!
قال : الصبا ولى فقلـــت :ابتـــسم لن يرجع الأسف الصبا المتصرما!
قال: التي كانت سمائى في الهوى صارت لنفسى في الغرام جهنمـــا!
خانـــت عهـــودى بعـــدما ملكتهـــا قلبى ، فكيف أطيق أن أتبـــسما؟!
قلت :ابتسم واطرب فلـــو قارنتهـــا قضيت عمرك كله متألما ..إلـــخ(٢)

وهذه النغمة من التفاؤل نجدها فى كثير من قائده منها قصيدة فلسفة الحياة(ديوان إيليا أبو ماضى ص١٠)**والتى يقول فيها**:

أيهـــذا الـــشاكى ومـــا بـــك داء كيف تـــشكو إذا غـــدوت علـــيلا
إن شر الجناة فـــي الأرض نفـــس تتـــوقى قبـــل الرحـــل الـــرحيلا
وترى الشوك في الورود وتعمـــى أن تـــرى فوقهـــا النـــدى إكلـــيلا
فتمتـــع بالـــصبح مادمـــت فيـــه لاتخف أن يزول حتى يزولا...إلخ

ونجد هذه النغمة في قصيدة المساء، والتى نجد فيها الملح الثالث(التأمل في الطبيعة)والتى يدعو فيها الناس بالاستمتاع بالحياة ، ملفتا نظره إلى مظاهر

1 -إيليا أبو ماضى:ديوان الجداول ط.مرآة الغرب نيويورك عام ١٩٢٧. ص٢٣.
2 - إيليا أبو ماضى:الخمائل ص٣٨ وما بعدها.

الطبيعة في حالتيها (الحزينة والفرحة)مبرهنا لنا بالأخذ بمظاهر السعادة اقتداء بها في حالات السعادة والفرح ، وترك ظواهر الحزن ، وهذا يدلل على المقدرة التي يتمتع بها الشاعر في العرض والبرهنة والإقناع، **يقول**:

- السحب تركض في الفضاء الرحب ركض الخائفين
- والشمس تبدو خلفها صفراء عاصبة الجبين
- والبحر ساج صامت فيه خشوع الزاهدين
- لكنما عيناك تائهتان في الأفق البعيد

سلمى بماذا تفكرين؟!

سلمى بماذا تحلمين ؟!

- فاصغى إلى صوت الجداول جاريات في السفوح
- واستنشقى الأزهار في الجنات مادامت تفوح
- وتمتعى بالشهب والأفلاك مادامت تلوح
- من قبل أن يأتى زمان كالضباب أو الدخان

لاتبصرين به الغدير !

ولا يلذ لك إلخرير!

- مات الصباح ابن النهار فلا تقولى كيف مات
- إن التأمل في الحياة يزيد من ألم الحياة
- فدعى الكآبة والأسى واسترجعى مرح الفتاة
- قد كان وجهك في الضحى مثل الضحى متهللا

فيه البشاشة والبهاء

ليكن كذلك في المساء!!...إلخ[1]

1 - إيليا أبو ماضى:الجداول ص٣٣.

obeikandl.com

وفى قصيدة(في القفر)يتأخذ الطبيعة- كعادة الرومانسيين – ملاذا يلجأ إليه هروبا من عالم الواقع وأدرانه، **يقول في هذه القصيدة**:

قلت: أخرج من المدينة للقفر ... ففيه النجاة من أوصابى
دليلك الليل راهبى وشموعى ... الشهب كلها محرابى
وكتابى الفضاء أقرأ فيه ... سورا ما قرأتها في كتابى
وصلاتى التى التي تقول السواقى ... وغنائى صوت الصبا في الغاب
وكؤوسى الأوراق ألقت عليها ... الشمس ذوب النضار عند الغياب
ورحيقى ما سال من مقلة الفجر ... على العشب كاللجين المذاب
ولتكحل يد السماء جفونى ... ولتعانق أحلامها أهدابى...إلخ [1]

أما عن استخدام الرمز في شعره، فإيليا من الشعراء الذين يحسنون نظم القصة الرمزية ذات الأمثولة، والتى تهدف إلى غاية إنسانية سامية، ومن القصائد التي جاءت في شكل قصة رمزية، قصيدة الفراشة المحتضرة، وقصيدة التينة الحمقاء (الجداول ص٢٨)وقصيدة الحجر الصغير(الجداول ص٢٢) في القصيدة الأولى، يصور فيها لفراشة ضاع الصيف والربيع منها، ففقدت وجودها ومرحها وسعادتها، وأضحت بائسة تعانى من الوحدة والضياع، والشاعر يبكى حزنها ووحدتها، وكأن الفراشة المحتضرة رمز للحس بالكآبة لضياع الشباب وتصرم سنوات العمر، وفى قصيدة التينة الحمقاء يصور لشجرة تين بخلت على الناس بظلها، وثمارها، **فكان مصيرها**:

1 -إيليا أبو ماضى:الجداول ص٢٩.

ولم يطق صاحب البستان رؤيتها فاجتثها فهوت في النار تستعر

ويصرح في نهاية القصيدة بالعبرة من هذه القصة في القصيدة بقوله:

من ليس يسخو بما تسخو الحياة به فإنه أحمق بالحرص ينتحر

وفى قصيدة الحجر الصغير يصور لسد آمن مطمئن يحمى المدينة من الغرق ولكن حجراً صغيراً في بنائه(السد) يبكى لتعاسة حظه، لأنه حقير لا قيمة له ولا يقدره الناس، لذا يقرر في النهاية الانتحار بإلقاء نفسه في المياه ، فتغرق المدينة وتنتهى القصيدة **بقوله:**

فتح الفجر جفنه فإذا الطوفان يغشى المدينة البيضاء

والقصيدة ترمز إلى قيمة كل إنسان ، مهما صغر أمره في المجتمع لايستغنى عن دوره، فكل واحد له قيمته ، وتغيب أي فرد معناه تغييب دوره، وهذا يؤدى بدوره إلى ضياع المجتمع، كما حدث للسد فانهار.

أما عن مطولاته الشعرية ، فله كما ذكرنا ثلاث مطولات، الشاعر والسلطان الجائر(الخمائل ص٧)، والأسطورة الأزلية(الخمائل ص١٢٧) والطلاسم(الجداول ص٨٩)وسنقف هنا على قصيدة الأسطورة الأزلية ، ففى هذه القصيدة تسيطر على الشاعر نزعة تأمل في الذات والكون والحياة والقصيدة مكونة من مائة واثنين وأربعين بيتاً، في عشرة أناشيد، والقصيدة تبرز لرحلة الناس في الحياة، فمنذ وجد الإنسان على الأرض غير راض عما بها فهو ناقم على نصيبه وقدره، لم يقنع ولم يرض، وقد عالج هذا التصور في شكل حكاية أسطورية، وتتلخص هذه الحكاية في أن الناس قد ضجوا مرة بالشكوى إلى الله وودوا لو أعاد الله تكوينهم من جديد، فنزل ذو الجلال على رغبتهم، وأخذ يستمع لشكوى كل واحد منهم، وتوالت الشكاوى ، شاب يعيش وسط الشيوخ ، يريد أن يرجع لعهد الشباب

لينسجم معهم، وشيخ كبير يريد أن يرجع به الزمن ، ويعيش شابا، ليستمتع بحياته، فتاة جميلة تود لو افتقدت جمالها ، لأن الجمال جعلها مطمعا لكثيرين ومعرضا للأقاويل، جارية دميمة تتمنى لو تعود جميلة، فتكون مطلب الشباب صعلوك يتمنى لو صار من الموسرين ، حتى لايتحكم فيه أحد، أبله يشتكى من بلاهته، ألمعى يشتكى من التعب لأنه يفكر في كل شيء في الحياة، ...إلخ وأخيراً يقف الناس جميعا منتظرين حكم المولى ، **فكان**:

لمـــا دعـــا الله شـــكايا الـــورى قال لهم: كونوا كما تشتهون !

فكانوا كما تمنوا(الفتى شيخا، والشيخ فتى، والحسناء دميمة، والدميمة حسناء، والصعلوك غنياً ، والغنى صعلوكا...إلخ)وعندما طلع الصباح على الكون فإذا الحياة هى هى من جديد، وتعودالشكاوى من جديد ....

٣- ميخائيل نعيمة

ولد ميخائيل نعيمة في السابع عشر من شهر أكتوبر عام ١٨٨٩فى قرية بسكنتا اللبنانيةالصغيرة ، التي يحيط بها جبل صنين بصخوره وثلوجه، لأبوين أميين وستة أخوة(كان ثالثهم)تلقى تعليمه الأولى في مدرسة القرية ، ثم في مدرسة الأرثوذكس التابعة لجمعية الإمبراطورية الروسية الفلسطينية في القرية ، ولما كان من المتفوقين انتدب لمتابعة دروسه في (دار المعلمين الروسية)في الناصرة بفلسطين، ولم يتم تعليمه في هذه المدرسة حتى السنة الرابعة حتى انتدبوه إلى مدرسة في روسيا ، على نفقة الجمعية الإمبراطورية، وكان وقتئذ في السابعة عشرة من عمره ، حيث توجه إلى بلتافا في أوكرانيا لدراسة السمنار اللاهوتى أكمل دراسته في السمنار، وبعدها رجع إلى لبنان ، ومنها إلى باريس لدراسة

المحاماة في جامعة السربون بباريس، وعند رجوعه لبنان التقى بأخيه أديب الذى كان مهاجراً إلى أمريكا، وعاد لزيارة أهله، فأقنعه أخوه بالهجرة معه إلى أمريكا وكان ذلك عام ١٩١١، وفى عام ١٩١٢التحق بجامعة واشنطن لدراسة الحقوق وظل بها أربع سنوات حتى نال شهادة الحقوق ١٩١٦، ولكن لميله الأدبى ترك العمل في مهنة المحاماة، رغب في الرجوع إلى لبنان لممارسة المحاماة ، ولكن لظروف الحرب العالمية الأولى استحال ذلك ، وأصبح جنديا - مكرها- في الجيش الأمريكى ١٩١٨تنفيذاً للنظام الإجبارى للجندية هناك، وعاد من الحرب عام ١٩١٩.

وكان قد نشر عام ١٩١٧مسرحية (الآباء والبنون)في كتاب مستقل، بعدما نشرها في فصول مستقلة في مجلة الفنون ، التي أسسها في نيويورك الشاعر نسيب عريضة، والذى كان زميلا له في مدرسة الناصرة، وفى تلك الفترة تعرف على زملائه الأدباء (جبران خليل جبران، ورشيد أيوب، وعبد المسيح حداد، وإيليا أبو ماضى)وأسسوا معا الرابطة القلمية - كما ذكرنا - ووضع دستورها ، وأصبح مستشارها ، بل وناقد الرابطة من خلال كتابه (الغربال)الذى صدر في القاهرة بعد أن وضع مقدمة له العقاد عام ١٩٢٣، وضم هذا الكتاب مجموعة مقالات ظهرت في المجلات والجرائد المختلفة ما بين ١٩١٣:١٩٢٣ وقد هدف في نقده وشعره هذه الفترة مع أعضاء الرابطة القلمية (الانتقال بالأدب العربى من طور التخلف والجمود إلى طور التجديد)وظل مع زملائه يكتب في مجلة السائح المقالات، وينشر الأشعار التي عملت على ازدهار الشعر العربى ورقيه، إلى أن رجع إلى الوطن عام ١٩٣٢.

وبعدها ظل في بسكنتا فيما يشبه عزلة الناسك ، منقطعا للكتابة والإبداع حتى وفاه الأجل ، وقد كتب في نهاية حياته سيرته الذاتية ، في ثلاث مجلدات بعنوان سبعون. (١)

رغم موهبته الأدبية العالية لم يؤلف في رحلته في المهجر سوى مسرحية الآباء والبنون ، وكتابه النقدى (الغربال)وديوانه الشعرى (همس الجفون) مجموعة القصائد التي نظمها في المهجر، جمعها بعد عودته، وأعطاها هذا الاسم ولم يكتب شعراً بعد ذلك.

وفى عام ١٩٣٤ألف كتاباً عن جبران (جبران خليل جبران، حياته، موته أدبه، فنه)وقد أثار هذا الكتاب نقاشا حادا لنقده اللاذع لجبران، وسوف نقف بإيجاز على الملامح الفنية لإبداعاته في المهجر، ففي كتابه الغربال ظهرت شخصيته التجديدية ، وجاءت آراؤه النقدية متناغمة مع فكر الرابطة القلمية – كما مر بنا – حيث دعا إلى التحرر من قيود الماضى ، وعدم الالتزام بالأغراض القديمة، والتمرد على نظام القافية الموحدة. ومن مظاهر التجديد في أدبه أنه كتب المسرحية في تلك الفترة المبكرة، وبلغة تمزج بين الفصحى والعامية، ودعا إلى أن تكون اللغة متماشية مع طبيعة الشخصيات ، فنطق الفلاح (بالعامية)والمثقف (بالفصحى). (٢)

وكتب كثيراً من الإبداعات بعد عودته من المهجر – ديوانه الذى جمعه وكتابه عن جبران كما ذكرنا - ومنها ، كان ما كان (مجموعة قصصية)والمراحل

---

1 -راجع د. إحسان عباس ود. محمد يوسف نجم:الشعر العربى في المهجر ص١٧٧وما بعدها، وعيسى الناعورى أدب المهجر ص ٣٩٧: ٣٩٣.

2 -راجع: د.نديم نعيم :ميخائيل نعيمة طريق الذات إلى الذات المطبعة الكاثوليكية بيروت عام ١٩٧٨ص١٢٣.

(مقالات)ومذكرات الأرقش (قصة)وزاد الميعاد – لقاء – الأوثان- البيادر- صوت العلم –النور والديجور – مرداد (باللغة الإنجليزية) سبعون(سيرة ذاتية) في ثلاثة أجزاء.ويهمنا في دراستنا عن ميخائيل كتاباته في المهجر(الغربال– مسرحية الآباء والبنون- ديوانه همس الجفون)أشرنا إلى التجديد في الغربال ، وفى مسرحيته وسنقف هنا على الملامح الفنية في ديوانه (همس الجفون)وأول هذه الملامح في شعره الطمأنينة والارتياح، فلم يكن متمرداً مثل جبران، بل كان يرضى بما قسمته له الأيام **كقوله**:

ذمك الأيام لا ينفعك فهى لا أذن لها تسمعك

لاولا عين ترى عقربا في ديباجير الأسى تلسعك

لا ولا قلب يرق وإن جف من طول البكا مدمعك

وقوله في قصيدة الطمأنينة:

سقف بيتى حديد ركن بيتى حجر

فاعصفى يا رياح وانتحب يا شجر

واسبحى يا غيوم واهطلى يا مطر

واقصفى يا رعود لست أخشى خطر...إلخ [1]

فنفسه المطمئنة لا يعكرها أي كدر مهما عصفت الرياح ، وانتحب الشجر وتجمعت الغيوم ، وقصفت الرعود، وما هذه الظواهر الكونية إلا تعبير عن ويلات الحياة ومصائبها لما اعتدنا في هذه الظواهر من مضايقات وكدر للإنسان، وامتداد لهذا الشعور يؤمن إيمانا عميقا بخلود الروح بعد تحررها

1 - ميخائيل نعيمة:ديوان همس الجفون ص٧٣.

من الجسد وأعبائه وقيوده، ويؤمن بأن الولادة والموت إنما حلقتان في سلسلة الحياة غير المتناهية، وأوضح هذه الفكرة في قصيدته أوراق الخريف والتى يستهلها **بقوله**:

تنـــــــاثر تنـــــــاثرى يابهجـــــــة النظـــــــر
يـــــا مـــــرقص الـــــشمس ويأرجوحـــــة القمـــــر
يـــــا أرغـــــن الليـــــل ويـــــا قيثـــــارة الـــــسحر
يـــــا رمـــــز فكـــــر حـــــائر ورسم روح ثـــائر....إلـــخ [1]

فلا غرابة أن يرى في الموت الخلاص والتحرر من سجن الطين ، أو سجن الجسد يقول في قصيدة (أنا):

غـــــدا أعيـــــد بقـــــا يـــــا الطـــــين للطـــــين
وأطلـــــــق الـــــــروح مـــــن ســـــجن التخـــــامين
وأتـــــــرك المـــــــوت للمـــــوتى ومـــــن ولـــــدوا
وإلخيـــــــر والـــــــشر للـــــدنيا وللـــــدين ...إلـــخ[2]

وقد انتهت هذه النظرة الصوفية إلى انتهاج نظرية وحدة الوجود ، فالكون عنده كل لايتجزأ ، وكل ما يراه من مظاهر خارجية وصور متعددة ، إنما شهد به الحس الظاهر فإنه يشهد بأن تلك ظواهر لحقيقة واحدة(حقيقة الذات الإلهية التي تفيض على الوجود)**يقول في غاية** (**من أنت يا نفسى**):

إيـــه نفـــسى أنـــت لحـــن فـــي قـــد رن صـــداه
وقعتـــــك يـــــد فنـــــا ن خفـــــــــــى لا أراه
أنـــــت ريـــــح ونـــــسيم أنـــت مـــوج أنـــت بحـــر

1 - م.نفسه ص٤٧ .
2 – م.نفسه ص ١٠٢.

أنـــت بـــرق أنـــت رعـــد أنـــت ليـــل أنـــت فجـــر

أنـــت فـــيض مـــن إلـــه ...إلـــــــــــــــخ [1]

وهذه الفكرة بلورتها قصيدة (ابتهالات)التى وقفنا عليها، وبلورها من بعد في كتابيه زاد الميعاد ، وسبعون.

٤- نسيب عريضة

ولد نسيب أسعد عريضة فى حمص ، في شهر أغسطس عام ١٨٨٧، تلقى تعليمه الأولى في المدرسة الروسية المجانية في بلده ، ثم أرسل- مكافأة على تفوقه - عام ١٩٠٠إلى المدرسة الروسية، (دار المعلمين)التي تعلم فيها ميخائيل نعيمة وأرسل بعد أربع سنوات- لتفوقه - لتكملة دراسته في روسيا، ولكن ظروف الحرب حالت دون ذلك، بعدها هاجر إلى الولايات الأمريكية ، وهناك التقى بمجموعة الأدباء (ميخائيل نعيمة، وجبران ، والريحانى...)وتوطدت علاقته بهؤلاء وغيرهم بعدما أسس(نسيب)مجلة الفنون، عام ١٩١٣ ، وأخذوا ينشرون على صفحاتها المقالات الأدبية ، وإبداعاتهم الفنية ، ولكن لظروف نسيب المادية توقفت هذه المجلة فترة، ثم عادت للظهور مرة أخرى عام ١٩١٦، ولم تستمر سوى عامين وتوقفت لظروف صاحبها المادية ، ثم التف هؤلاء الشعراء حول جريدة السائح التي أسسها ندرة حداد.

شارك مع زملائه(جبران وميخائيل نعيمة...) في تأسيس الرابطة القلمية فى عام ١٩٢٠، وعاد يعمل بجد في ممارسة نشاطه الثقافى لازدهار النهضة الأدبية

1 - م.نفسه ص١٦.

هناك ، وفى عام ١٩٢٢تزوج نجيبة حداد (أخت ندرة حداد وعبد المسيح حداد) ولم يرزقا أولادا.

ترك العمل بالتجارة ، واقتصر على نشاطه الأدبى ، فعمل رئيس تحرير جريدة مرآة الغرب (لصاحبها نجيب دياب)ثم جريدة الهدى (صاحبها نجيب مكرزل) وفى أثناء الحرب العالمية الثانية عين موظفا في مكتب الأخبار للولايات المتحدة لمدة عامين، وبعدها اعتزل العمل لأسباب مرضية ، أما عن صفاته الأخلاقية فقد وصفه ميخائيل نعيمة فقال:كان ممتازا بأخلاقه، فهو وديع لطيف خجول ، دافىء اللسان ، لا يغتاب، ولاينم، وهذه الصفات لازمته حتى نهاية حياته، توفى عام ١٩٤٦.

لم يترك لنا في رحلته الإبداعية سوى ديوان شعر، أطلق عليه (الأرواح الحائرة) ورواية مترجمة عنوانها (أسرار البلاط الروسى)، وقصتان تاريخيتان منشورتان في مجموعة الرابطة القلمية ، هما: ديك الجن الحمصى والصمصامة(١)

وعن القصتين الأخيرتين يقول عنهما عيسى الناعورى "تتجلى موهبة نسيب الفنية في النبوغ عامة ، وفى القصة التاريخية بنوع خاص، فقد اجتمعت له أسبابها من حبكة قوية ، وخيال مشرق ، مع المحافظة على حصة التاريخ من القصة الفنية"(٢).

1 - راجع :عيسى الناعورى أدب المهجر ص٤٠٨:٤١٣، ود.إحسان عباس ود.محمد يوسف نجم:الشعر العربى في المهجر ص ١٩٣، ونادرة جميل سراج:شعراء الرابطة القلمية ص٣٥٠:٣٥٥.
2 -عيسى الناعورى :أدب المهجر ص٤١.

أما عن ديوانه فقد أثرت حياته المخفقة - كثيراً -على إبداعه، فجاء شعره حزيناً شاكياً متبرماً ، معبراً عن إخفاقاته المتكررة ، ومعاناته النفسية والمادية وعن الشقاء والفراق والدموع ، وجاء العنوان معبراً عن هذا ، **يقول في قصيدة حديث الشاعر**:

باطلا ترجون لحنا مفرحا قطعت أطرب أوتارى العبر
فدعوا القلب مع الباكين في مأتم العيش على حال البشر .إلخ[1]

وجاء شعره يقطر حزنا وألما ودموعا ، وشاح بنظره عن الجانب المضحك في الحياة ، يقول في قصيدة جلسة طرب:

قلت: دعونى مطرقا حائرا فليس لى في لهوكم مطمع
من لى بأن أطرب والنفس قد أمست على أسماعها برقع
إذا سمعتم فأنا سامع ما ليس يصيبكم ولايمتع
أبعد من ضجة ألحانكم عاصف أنغام به أرتع [2]

لقد انكفأ على نفسه ولم يصور حياة الظلم والشقاء للناس ، ولكن جعل نفسه نموذجا لهذا الشقاء والألم ، يقول في قصيدة دعونى و شأنى :

قل :افتقرنا فلم نلجأ إلى أحد وقل فجعنا فلم نخضع لأحزان
وقل : عطشنا وكان الماء قسمتنا فلم نرده وعفناه لظمآن
وقل : عشقنا فلم يعلم بنا بشر ولا الحبيب ولا فخر بكتمان
وقل : شقينا فلم نخضع لذى صلف ولم نحارب شقاء بابنة ألحان [3]

1 -نسيب عريضة:الأرواح الحائرة ط نيويورك عام ١٩٤٦ ص٢٠.
2 - م.نفسه ص٤٨.
3 - م.نفسه ص٥٠.

وعلق على هذه القصيدة د.محمد يوسف نجم و د.إحسان عباس بقولهما"نرى أن رومانطيقية نسيب في مبدأ أمرها لم تكن من النوع الضعيف الذى يستجدى عطف القلوب ، وقد ظل هذا الشعور بالقوة حبيبا إلى نفسه حتى حين فارقته القوة ، وغداً ضعيفا" (١).

وجاءت تساؤلاته تعبيراً عن هذه الحيرة ، يقول في قصيدة لماذا؟!:

لماذا التناسل والنسل مذرى بأن الحياة له قاتله

لماذا غلام يموت وتبقى شيوخ تثقل في العائلة (٢)

وانسحب شعوره المتشائم على شعوره القومى ، فثار في لهجة ناقدة ملتاعةعلى الضعف العربى الذى حل بالوطن ، **يقول في قصيدة النهاية**:

- كفنوه وادفنوه أسكنوه هوة اللحد العميق
- واذهبوا لاتندبوه ، فهو شعب ميت ليس يفيق
- هتك عرض، نهب أرض ، شنق بعض
- لم تحرك غضبة

فلماذا نذرف الدمع جزافا؟!

- ولنتاجر في المهاجر ، ولنفاخر بمزايانا الحسان
- ما علينا إن قضى الشعب جميعا ، أفلسنا في أمان؟!
- رب ثار ، رب عار، رب نار ، حركت قلب الجبان
- كلها فينا ولكن لم تحرك ساكنا إلا اللسان (٣)

---

1 - د.إحسلن عباس ود.محمد يوسف نجم : :الشعر العربى في المهجر ص١٩٦.
2 - نسيب عريضة:الأرواح الحائرة ص٤٥.
3 - م. نفسه ص٦٥.

- **ومما امتاز به شعر عريضة التلاعب بالأوزان الشعرية** ، ليجعل الشعر مزيجا لطيفا من الرقة، والغناء، والرشاقة، وكثيراً ما كان يوفق في ذلك، ومن هذه القصائد التي وفق فيها (أنا في الحضيض – النعامى – الملك الأسير)**يقول في القصيدة الأولى معبرا عن انقطاع الوصلات الإنسانية بينه وبين الآخرين** :
- أنا في الحضيض
- وأنا مريض
- أفلا يد تمتد نحوى بالدوا
- وتبث في جسمى ملامسها القوى
- أفلا رفيق أو دليل في الطريق....إلخ[1]

ومن الملامح الفنية في شعر عريضة ، أنه نظم المطولة الشعرية ، في قصيدتين هما (**على طريق إرم ، و احتضار أبى فراس**) وجاءت المطولة الأولى امتدادا لمذهبه – ومذهب جبران وميخائيل نعيمة – في وحدة الوجود ، والتوحد بين الإنسان والخالق ، وحين اقترب من هذا النور شعر بسعادة وارتياح ، **يقول**:

فلنـــــرق طـــــود التجلـــــى ففـــــي الـــــذرى تـــــستنير
إذا ارتقينـــــــــا الثنايـــــــــا قـــــرب الإلـــــه نـــــصير
فنتخطـــــــــى بـــــــــاليقين مـــــن نـــــور حـــــق مبـــــين
ونـــــستقى مـــــن معـــــين يفيض أنهار حـــب...إلـــخ [2]

وفي الثانية صور احتضار أبى فراس في اثنين وسبعين بيتا شعريا.

---

1 - م.نفسه ص٧٢.
2 - م.نفسه ص١٧٧.

obeikandl.com

وتتجلى ثقافته بالأدب الروسى ترجمته لقصيدتين في الديوان الأولى بعنوان(الصمت) ليتوكشف، والثانية(النوم والمنية) لسولوكوب الروسى.

٥-رشيد أيوب

ولد رشيد أيوب في (بسكنتا) بلد ميخائيل نعيمة، عام ١٨٧١، ورحل إلى باريس علم ١٨٨٩، أقام بها ثلاث سنوات، ومنها إلى مدينة مانشستر، وبعدها هاجر إلى الولايات المتحدة، أقام في ولاية لويزيانا، ثم إلى نيويورك كعبة شعراء المهجر لم تبتسم له الحياة في الغربة، فقضى أيامه في فقر وألم، وظهرت آثارهما على شعره، وعبر عن همومه وتعبه حاملا كيسه في البلاد، كبائع جائل في الشوارع منهم من يعطف عليه، ومنهم من يصده، وقد لازمه عدم التوفيق كثيراً، ومن أبرز القصائد التي عبرت عن تعاسته قصيدة المسافر، اتصل بزملائه الأدباء كجبران وميخائيل، وعريضة، وإيليا، وتوطدت علاقته بهم وكونوا معا- كما ذكرنا- الرابطة القلمية عام ١٩٢٠، وظل عضوا بارزاً فيها بعطائه المميز والغزير، والذى يعد صاحبه (رشيد) من أكثر الشعراء عطاء بعد إيليا أبى ماضى، وقد ترك لنا ثلاثة دواوين شعرية (الأيوبيات عام ١٩١٦- أغانى الدرويش عام ١٩٢٨ – هى الدنيا عام ١٩٤٢) توفى في المهجر عام ١٩٥٠.(١)

الديوان الأول(الأيوبيات) يعبر عن مدى تجاوب الشاعر مع مجريات الواقع بروح الفنان الذى يعشق الحرية، ويرى في الحرب العالمية الأولى جناية على الإنسانية، ويهتز من أعماقه لما حل بوطنه من مجاعة ونكبة، واقترن ذلك بالغضبة على الأتراك أعداء الحرية، واختفت هذه النغمة في ديوانه الثانى(أغانى

1 - راجع : د.إحسان عباس ود. محمد يوسف نجم :الشعر العربى في المهجر (أمريكا الشمالية) ص٢١.

الدرويش) الذى قدم له ميخائيل نعيمة، ويعد هذا الديوان انقلاباً فنياً في حياته فإذا به يطلق الواقع ، ويعيش في قصور الخيال ، لايطلب من الحياة سوى أن تمنحه خيمة ناطور، يعيش فيها قانعاً بفقره وعزلته ، وأصبح الوطن عنده رمزاً ليوتوبيا ضائعة ، وقد وجد في المذهب الرومانسى ما يتفق مع طبعه وموهبته وظروفه الحياتية ، حيث التمرد والاعتزاز بحرية الفرد، والتحليق في الخيال ليسترجع الوطن بصورته البريئة، حيث أحلام الطفولة في نداوتها ورقتها ، وأحلامه الوردية على أرض الوطن ، وسمائه المرصع بالنجوم، وجدناها في دموعه المذروفة أيام شبابه حزيناً بائساً ، **يقول في قصيدة ياشبابى**:

تائها في الليل بين الصخور عند شاطىء البحر في ضوء القمر
أسأل الأمواج عن أهل القبور ومن الأفلاك استقصى الخبر
وأزور الروض أصغى للطيور عندما غنت وقد لاح السحر...إلخ[1]

ثم تغيرت هذه النبرة الثائرة بعد ذلك ، إلى نبرة ساكنة وديعة تجتر أحزانها فلا نجد في كثير من أشعاره سوى إلخنوع والاستسلام ، **يقول في قصيدة** (**قصرى**):

والذة العيش برعى النجوم ! بين أسى الشاكى ورشف المدام
إذ تطرد الأحلام جيش الهموم إذ تنجلى الآمال تحت الظلام إلخ[2]

ومن الملامح الرومانسية في شعره الحب المفعم بالمرارة والألم ، والحنين والوصف الحزين المعبر عن لوعته وأساه ، **يقول في قصيدة** (**روضة الحب**):

الحب في عينيك آثاره باديةٌ كالأنجم الزاهرة
إذ ليس غير الحب من زارع بنفسجا في أعين فاترة ...إلخ

1 - رشيد أيوب:الأيوبيات ط نيويورك عام ١٩١٦ ص٣٢.
2 - رشيد أيوب: أغانى الدرويش ط نيويورك عام ١٩٢٨ص١٥.

ولعله يصف نفسه في تصوير للدرويش المشرد ، والمهاجر الغريب ، فلا يبوح لإنسان بشجوه وهمومه، ويعانى لواعج الحنين التي ترهف إحساسه ، توحى إليه بالشجن لكل صوت جميل ، **يقول في قصيدة وولى ما عرفناه**:

وقفنـــــا عنـــــد مـــــرآه	حيـــارى مـــا عرفنـــاه
عجيـــب فـــي معانيـــه	غريـــب فـــي مزايـــاه
لـــه ســـربال جـــواب	غبـــار الـــدهر غـــشاه
ووجـــه لوحتـــه الـــشمس	غـــارت فيـــه عينـــاه
وإن أصـــغى لـــصوت	النـــاى أشـــجاه وأبكـــاه
إذا أعطيتـــــه شـــــيئا	أبت جدواك كفـاه ...إلـخ[1]

ومن السمات الفنية في شعره تأثره بقيم التراث الفنية في بداية حياته الفنيـة، في ديوانـه الأيوبيـات "فقـد كـان مـستعبدا للأسـلوب الجـزل الرصين ، ...وتضطره الأوزان الفخمة إلى انتحال الفخامة... وقد خضع رشيد في قصائد كثيرة له، لنغمة موشحة لسان الدين بن الخطيب (جادك الغيث إذا الغيث همى...)وهى موشحة قائمة على نغمات القصيد ، ...وكان أكثر قصائده قائمة على طريقة التخميس ، أو على محاكاة بعض القصائد القديمة، وكل هذه الأمور تجعله يظهر بمظهر المبتدىء"[2] .

1 - م. نفسه ص ١٢.
2 - د.إحسان عباس ود. محمد يوسف نجم :الشعر العربى في المهجر (أمريكا الشمالية) ص٢٣٤.

ومن قصائده التي يتجلى فيها الجزالة قصيدة (غروب شمس الحياة)**التي يقول فيها**:

دنت المنيـــة وانقـــضى عمـــرى ونسيت ما قد كان من أمـــرى
غابـــت رســـوم فـــي مخيلتـــى كانت تضيىء كأنجم زهـــر
وخبـــا فـــؤاد كـــان مـــشتعلا بالحب مثل النار في صـــدرى
مـــاذا إذا رفـــع الحجـــاب غـــدا ألقى وقد أصبحت في القبر..إلخ [1]

وإن حدث تطور في شعره في ديوانه الثانى ، حيث تجاوز هذه الفخامة ومال شعره للرقة والرتاقة ، والخيال البعيد ، متأثرا بالروح الرومانسية ، ولكنه وقع في عيب خطير تمثل في انسياقه وراء القصيدة ، دون أن يعرف لها حدوداً صارمة أو يدرك ما الذى يريد منها أن تؤديه ، فتجىء القصيدة مبهمة....لأن القصيدة لا تخضع لانفعال عميق ، ولا تلتزم الدقة في التعبير ، وهذه النقيصة تجعل القصيدة عند رشيد مبهمة المقاطع ، مختلطة الأعضاء ، وتتركها متداخلة متشابكة [2].

نجد هذا الاسترسال في قصائد كثيرة، دون أن نرى جديدا فى الرؤية أوصياغة لصورة فنية موحية ومؤثرة ، **من هذه القصائد قصيدة الربيع التي يقول فيها** :

عادت إلـــى الأشـــجار أوراقهـــا وعادت الدنيا تثيـــر الـــشجون
تـــذكر المـــسكين وادى الحمـــى ونام بالأحلام تحت الغـــصون
سرى عليه اليوم ريـــح الـــصبا وأيقظته من ســـبات الجنـــون

1 - رشيد أيوب :الأيوبيات ص٤٨.
2 - راجع : عيسى الناعورى أدب المهجر ص٢٣٥.

obeikandi.com

تحرشـــــــى بـــــــالورق وأســـــــمعيه الحفيـــــف

ردى إليـــــــه الرمـــــــق من قبل يأتى الخريف..إلخ [1]

ومن الظواهر الفنية في شعره التجديد في الشكل العروضى للقصيدة العربية متجاوزاً الشكل الخليلى ، **يقول في قصيدة هل تذهبين** ؟:

ياهنـــد قـــد فـــسد الزمـــا ن وراح قـــول المرجـــف

فهلـــم نـــذهب فـــي الظـــلا م إلـــى الجبـــال ونختفـــى

هل تذهبين؟

وهنالـــك نـــسرح مثلمـــا الأطيار تسرح فـــي الفـــضا

متـــوكلين علـــى المقـــا در صـــابرين علـــى القـــضا

كالزاهدين

أو نمتطـــــى طيـــــارة ونطيـــر فـــي الجـــو الفـــسيح

متمتعـــين كمـــا نـــشا ء بحبنـــا الـــصافى الـــصحيح

في كل حين ... إلخ [2]

وهذه القصيدة تعكس لنا ظاهرة أشرنا إلها من قبل ، وهى التجديد الموسيقى ، باتخاذ شكل الموشح ، والتنوع في القافية وحرف الروى (هنا الفاء والنون والألف والحاء).

ومن الظواهر الفنية في شعر رشيد أن شعره لايتعرض للتأمل العميق في الحياة، والكون بالأفكار الفلسفية ، فليست له رؤية خاصة – مثلاً – عن الغاب

1 - رشيد أيوب :هى الدنيا ط نيويورك عام ١٩٣٩ص٩٩.
2 - رشيد أيوب :أغانى الدرويش ص٤٧.

والزمن، والسعادة ، والخير، والشر، والنفس الإنسانية، كما وجدنا عند جبران ونسيب، وإيليا ، وميخائيل نعيمة، **فمثلا يقول في قصيدة مرور الزمان** :

لماذا الضجيج وماذا الخبر فقالوا :قريبا يمر الأمير
فلما رأيت جميع البشر يضجون جهلا لأمر حقير
وقفت وحيدا بعين الفكر أراقب وحدى مرور الزمن.إلخ [1]

فلا نجد رؤية ولا فلسفة للزمن ، كما يقول أحمد شوقى – مثلا -**عن الزمن** :

دقات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثوان

وقوله – أيضا - **في مسرحية مجنون ليلى** :

وقد يهون العمر إلا ساعة وتهون الأرض إلا موضعا

٦- ندرة حداد

ولد ندرة حداد في حمص عام ١٨٨١، ولم يتخط في حياته في المرحلة الابتدائية حتى هاجر إلى أمريكا عام ١٨٩٧، حيث عمل بالتجارة والصحافة هناك ثم أصبح عضواً عاملاً في الرابطة القلمية ، وفى عام ١٩٤٣جمع أشعاره التي نشرها في الجرائد والمجلات من قبل مع مجموعة قصائد أخرى ، ونشرها فى ديوان عنوانه (أوراق إلخريف)وهو الأثر الأدبى الوحيد الذى تركه لنا.[٢]

ويعبر عنوان الديوان عن حياة صاحبه ونفسيته "وروحه الرقيقة المتأثرة بمآسى الحياة ، وما ينتابها من ظروف وأحوال ، لاتبعد جميعها عن أن تكون

1 – م. نفسه ص ٦٦.
2 - د.إحسان عباس ود. محمد يوسف نجم :الشعر العربى في المهجر (أمريكا الشمالية) :ص٢٦٧.

obeikandl.com

محزنة جالبة للأسى ، مثيرة للألم ، ولكن ندرة كان ذا نفس راضية مطمئنة ، يحب المسالمة ، ويبعد عن المشكلات والتعقيد، ..ولم يضمر الحقد والكراهية "[1].

وقد دار شعره في ديوانه السابق في محاور أربعة:

الحنين إلى الوطن ، والنزعة الإنسانية ، والتسامى النفسى ، والتأمل الروحى.

أما عن المحور الأول :(الحنين إلى الوطن) فقد ظل طيلة حياته يتذكر أهله وبلاده ويحن إليه حنينا مؤلما للعودة إلى أحضانها ، ومن هذه القصائد قصيدة ليالى الصفاء (التي يحن فيها إلى مجالس الصفاء والحب على جنباتها)وقصيدة نحن فى الغربة، والتى يعبر فيها عن حاله في الغربة، وقصيدة أغنية الخريف التي يعبر فيها عن عدم ائتلافه وانسجامه بعيداً عنها ، **يقول في القصيدة الأخيرة**:

مـــا قيـــل مرحبـــا	فـــي كـــل أســـفارى
إلا وقلبـــــى صـــــبا	للأهـــــل والـــــدار
مـــا عنـــك أرض الـــشام	صـــــد وإضـــــراب
هـــواك منـــذ الفطـــام	روح وأعـــصاب..إلـــخ[2]

ويقول في قصيدة جنة الدنيا :

لاتحسبى بعدى عن الأوطـان	بغضا ولا ضربا من الـسلوان
كيف السلو ولـى فـؤاد كلمـا	ذكرا الأحبة زاد في الخفقان إلخ[3]

1 - د. نادرة جميل سراج :شعراء الرابطة القلميةص٣٦٢.
2 - ندرة حداد:ديوان أوراق الخريف ط نيويورك عام ١٩٤١ص٢٣.
3 - م.نفسه ص ١٠٢.

أما عن النزعة الإنسانية التي تتضمن حب الناس جميعا ، دون التمييز بين غنى أو فقير، تطالعنا هذه الروح الإنسانية في كثير من قصائده، مثل قصيدة سر معى ، وقصيدة أنفق فضول المال ، التي تدعو إلى الزهد ، وترك متاع الدنيا بما فيها من مال زائل ، **يقول في القصيدة الأخيرة**:

ماذا يفيد المرء لو أنه ... جمع مال الأرض في عمره
أليس ما يجمعه ذاهبا ... إلى الثرى إن بات في قبره
فيا كثير المال من غيره ... ويا قليل البذل من يسره
أنفق فضول المال حيا تنل ... شكر الذى أثريت من فقده
فحاتم ما عاش في عصرنا ... لو لم يجد بالمال في عصره إلخ[1]

وينصح ابنه (وليم) بالسخاء والجود ، يقول في قصيدة (إلى وليم):

أجمع المال ما استطعت ... ولا تنس العطاء
وإذا أخفقت سعيا ... لا تقل دهرى أساء
كلنا في العمر نلقى ... حسب الفعل الجزاء..إلخ[2]

ومن رؤيته الإنسانية دعوته إلى التحرر من الانتماء إلى دين بعينه، لأنه يرى في الانتماء إلى دين معين سبب تفكك البشرية، فقد كان يرى شيئين يثيرانه في الطفولة: **الفقر والتعميد، فقال**:

- يابن عمى أنا ممن وجدوا الأديان علة
- كل يوم بين أهل الدين تجهيز وحملة
- ملة تطلب أن تجتاح باسم الدين ملة

1 - م.نفسه ص١١٦.
2 - م.نفسه ص٦٤.

- فإذا أحببت هذا الطفل أن يحسن فعلة
- صنه من دين انقسامات و أوهام مضلة...إلخ[1]

ومن شعره التأملى قصيدتان بعنوان (يا نفس - ضريح الشاعر)يستهل قصيدة ضريح الشاعر**بقوله**:

ألا مـــا لهـــذى القبـــاب تلـــوح لنـــا كالقـــصور
أليـــست تخـــاف الـــذهاب كمـــا خـــاف مـــن القبـــور
أتـــــرب وارى التـــــراب وفـــــان علـــــى مائـــــت؟
أتجهـــــل أنـــــا خـــــراب ولا حصن بالثابت ...إلـــخ[2]

فهو يرى الحياة ظلا زائلا ، وأن القباب العاليات ستزول يوما ويواريها التراب ، لذا لا ينبهر المرء برؤيتها ، ولا يحزن لفقدانها والعيش في سكن متواضع وبعدها – في القصيدة- يروى ما يوحى به القبر من عظات وحكم ، حتى يصل إلى النهاية ، **حتى يقول** :

كذا نحـــن نمـــضى ككوكـــب إلـــــى أيـــــن ؟لاأعلـــــم!

ومن الملامح الفنية في الديوان – كما ذكرنا – التسامى النفسى، وتصورها (الشاعر)في صاحب النفس الإنسانية السامية ، وقد عنى بها نفسه، **في قوله** :

هـــــو راض بحالـــــه ظلـــم الـــدهر أم عـــدل
هـــو راض عـــن الزمـــان راضـــى بمـــا يفعـــل
هـــو فـــي الـــصبر والرضـــا والوفـــا مـــضرب المثـــل
هـــو فـــي الحـــب دمعـــة ليتها دمعة الجـــذل...إلـــخ.[1]

1 - د.إحسان عباس ود. محمد يوسف نجم :الشعر العربى في المهجر (أمريكا الشمالية) ص١٨٤:١٨٥.
2 - ندرة حداد:ديوان أوراق الخريف ص.٩٨

ولعلنا نلاحظ في شعره بعد عرض هذه الأبيات البساطة والوضوح، وافتقاد العمق الفنى ، ومرجع هذا افتقاد الشاعر للثقافة العميقة التي تستثير موهبته وتفجر طاقته الإبداعية ، فلم يكمل الشاعر تعليمه كما مر بنا، ولم يكلف نفسه بالاطلاع على ثقافة الآداب الأخرى كما فعل جبران، وميخائيل نعيمة وعريضة فجاء شعره بسيطاً مسطحاً، ولذا فلا غرابة أن يقول عنه د.إحسان عباس و د.محمد يوسف نجم" لولا الاغتراب عن الوطن ، والانضواء تحت لواء الرابطة القلمية والتعلق بركاب جبران ، لظلت الطاقة الشعرية عنده كامنة في مستقرها وصاحبها قانع ببعض أنواع الزفرات والتعبيرات الحسية ، فليست هنا حماسة أبى ماضى وحدته، ولا ارتفاع جبران وهبوطه، ولا هذا التأمل الذى تنقله أشعار نعيمة" (٢).

٧- أمين الريحانى

ولدأمين فارس أنطون الريحانى (نسبة إلى نبات الريحان) في قرية الفريكة بلبنان عام ١٨٧٦ ، وبها توفى عام ١٩٤٠، ومابين هذين التاريخين عاش أمين الريحانى متنقلاً بين الشرق والغرب، تلقى تعليمه الأولى في قريته ، ثم انتقل إلى مدرسة المعلم نعوم مكرزل (صاحب جريدة الهدى في أمريكا بعد ذلك) كما أشرنا من قبل، سافر إلى أمريكا وهو في الثانية عشرة من عمره، مع عمه (عبده) ومعلمه (نعوم مكرزل)هناك التحق بمدرسة راهبات المحبة ، ليتعلم اللغة الإنجليزية مكث فيها أكثر من عام، ثم عمل مع أبيه وعمه في التجارة ، وفى

---

1 - م. نفسه ص٦٧.
2 - د.إحسان عباس ود. محمد يوسف نجم : الشعر العربى في المهجر (أمريكا الشمالية)ص١٢٣.

السابعة عشرة من عمره انصرف للتمثيل المسرحى ، وراح يجوب أرجاء الولايات المتحدة مع فرقة تمثلية، نحو ما يقرب من ثلاثة شهور، وبعدها عاد للعمل في التجارة مع أبيه وكتابة المقالات التي بدأ ينشرها في جريدة الهدى التي أنشأها نعوم مكرزل في نيويورك دخل كلية الحقوق ولم يستمر بها، وعاد إلى لبنان سنة ١٩٣٨ ، درس قواعد اللغة وحفظ كثيرا من الشعر، واشتهر بالكتابة وإلخطابة.

وبعدها عمل معلما للغة الإنجليزية في قرية (قرنة شهوان)القريبة من الفريكة، رجع بعدها إلى أمريكا ، وبعدها رحل إلى الشرق في رحلات قومية يدعو فيها إلى الوحدة، وكانت هذه الرحلات نتيجة إطلاعه على كتابين باللغة الإنجليزية، (الأبطال لإمرسون كارليل ، وقصر الحمراء فى غرناطة لأرفين) يشيدان بتاريخ العرب وحضارته، وهنا شعر بالزهو، وتغيرت مشاعره اتجاه العرب من كراهية إلى حب، ومن تقليل من شأنهم إلى اعتزاز، ومن هنا كانت رحلاته التى بدأها عام (١٩٢٢ حتى ١٩٣٨م) زار خلالها نجدا ، والحجاز، واليمن ومصر وفلسطين ، والمغرب ، والأندلس ، وتمخضت عن الكتب الآتية (ملوك العرب – قلب العراق – قلب لبنان – المغرب الأقصى) وله كتب أخرى منها الثورة الفرنسية – التطرف والإصلاح – زنبقة الغور – تاريخ نجد الحديث الريحانيات أنتم الشعراء رسائل أمين الريحانى، وفاء الزمن ، وجوه عربية وغربية، ثلاث خطب وكتب بالإنجليزية (رباعيات أبى العلاء المعرى- كتاب خالد – أنشودة الصوفيين – لزوميات أبى العلاء-دروس في ألف ليلة وليلة –وجدة –كريمة...إلخ.(١)

1 - راجع الزركلى :الأعلام ٣٥٩/١ : ٣٦٠.

وفى فترة إقامته في أمريكا بدأ يتعرف على جبران ورفاقه الآخرين ولم يشارك في تأسيس الرابطة القلمية، ولم يلتحق بها لخلاف بينه وبين جبران كان أول ما كتب الشعر المنثور متأثراً بالكاتب الأمريكى وولت ويتمان وقد راقت هذه الطريقة الريحانى فاستهوته، فكتب عدداً من القطع الشعرية المنثورة ، ونثرها في تضاعيف الريحانيات، وقد جمعها أخوه ألبرت، فيما بعد في كتاب مستقل أطلق عليه(هتاف الأودية) وراق هذا الأسلوب جبران فكتب على نهجه ، لأنه أجاد فيه ، وكتب كل كتبه في أسلوب رائق شفاف ، غنى بإلخيال والأحاسيس الدافئة الهامسة ، ومن هذه الكتب – كما ذكرنا - النبى ، ويسوع ابن الإنسان ودمعة وابتسامة، والمجنون ، والسابق...إلخ .

اتصف أمين الريحانى في كتاباته بالثورة والتمرد على ما يعانيه مجتمعه من صنوف الجهل والجور، وما يخضع له شعب بلاده من عبودية لرجال الدين ورجال الإقطاع، وقد تهكم في كتاباته من رجال الدين الذين اتهموه بالإلحاد وهدم الدين ، وزرع الشكوك في نفوس الشعب، ووقفت في وجهه الكنيسة ، ولم تسمح بقراءة كتبه ، ولا تداولها، وحارب في كتاباته القومية والاستعمار، والتفرقة والتباعد بين أبناء الوطن العربى ، بل قام بدور إصلاحى فاعل في حياته، فتوسط بين ملك نجد (عبد العزيز آل سعود)وأمير الكويت، وأصلح بينهما، وسعى للإصلاح بين ملك الحجاز (الحسين بن على)والشريف الإدريسى ، ليعقد بينهما محالفة أخوة ومودة وهكذا جمع الريحانى بين الأدب والإصلاح الاجتماعى، والدعوة

الوطنية والقومية، فكان في ذلك رسولاً أميناً يؤدى رسالة الحب والخير والتعاون إلى المجتمع العربى كله.(١)

٨- نعمة الحاج

ولد في قرية غرزوز بلبنان في أغسطس عام ١٨٨٩، وهاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وهو في الخامسة عشرة من عمره، فعمل بالتجارة ، وأكمل دراسته اللغوية والأدبية بنفسه، واكتفى بالتعليم المنظم بما تلقاه في قريته حتى الرابعة عشرة من عمره، وفى المهجر تعرف على الأدباء المعروفين ، وتنوعت قراءاته وكتب في جريدة السائح التي أسسها عبد المسيح حداد عام فى نيويورك عام ١٩١٢ وتفتحت موهبته الشعرية فأصدر ديوانه الأول(ديوان نعمة الحاج ج١) في جريدة الهدى (لصاحبها سلوم مكرزل) بنيويورك عام ١٩٢١ ، وقدم له الشعر إيليا أبو ماضى ، الذى أشاد بموهبته الفنية ، ووصف معانيه بالكواكب المشرقة وألفاظه بدموع الفجر المترقرقة، وموسيقاه المرقصة(أعتقد أنه يقصد بوصف موسيقاه بهذه الصفة، لاستخدام الشاعر للأوزان القصيرة والمجزوءة ، ذات النغمات الهادئة)وفى عام ١٩٢٩ أصدر ديوانه الثانى في بيروت، ودعاه(من نافذة إلخيال)وعندما قدم أحمد زكى أبو شادى إلى نيويورك، أسس رابطة أطلق عليها (رابطة مينرفا) شارك معه في تأسيسها ، ولكن نشاط هذه الرابطة توقف بعد وفاة أحمد زكى أبو شادى(عام ١٩٥٤)، الذى وصف نعمة الحاج بقوله: إن نعمة الحاج من أولئك الشعراء القلائل ...لأن شعره ترجمة لحياته بالأسلوب الفنى الذى

1 -راجع :أدب المهجر ص٣٥٣ وما بعدها.

يتذوقه، وهو أسلوب رومانسى حينا، واتباعى حينا آخر، ولكنه ليس محاكاة متعمدة لأحد.

اتصف نعمة الحاج في شعره بالهدوء ، فلا نعرف فيه افتعالاً، ولا جعجعة ولا فوران، ولا اهتمام بالزينة والمحسنات البديعية، فصياغته سهلة ، والأفكار تتوالى في هدوء ، مترققة في يسر، لا تعقيد ، ولا تكلف فيها، وأغلب الديوان تعبير عن حياته، ووصف للطبيعة، والحنين إلى الوطن، وقليل من التأمل الروحى في الحياة والكون، ويغلب على ألفاظه وعباراته التقليد، والاستقاء من المعجم القديم.(١)

ونقف على نماذج من شعره تصور منهجه الشعرى ، وسماته الفنية والأسلوبية، ففي قصيدة (شطح الزمان)وهى من الشعر الوصفى التأملى، تعبر عن مشاعر الشاعر عندما بدأ المشيب يحل برأسه، منذراً بالنهاية ، مع استمرار عجلة الزمن ، وعدم توقفها عن الدوران، **يقول**:

أين الربيع من الخريف؟ ذهب التليد مع الطريف
شطح الزمان فلا رجا ء بالرجوع أو الوقوف
سارت ركائبه بنا والسير ينذر بالحتوف
تطوى إلخصيب إلى الجدي ب على حداء كالغريق
بلغت إلى حيث العيو ن ترى ذرى الطود المنيف

1 - راجع د.محمد عبد المنعم خفاجى قصة الأدب المهجرى ص٧٠٧وعيسى الناعورى :أدب المهجر ص٤٣٨وما بعدها.

obeikandl.com

يـــا للمـــشيب وقـــد ســـطا سطو القوى علـــى الـــضعيف

علـــم الـــشتاء تلـــوح فيـــه طلائـــع الحـــدث المخيـــف

أيـــن الـــشباب ؟ أيـــن ذا ك العـــزم كالحـــد الرهيـــف

حالـــت إلـــى اللـــين الـــصلا بـــة والغـــضارة للنـــشوف

ويقول عن قضية فلسطين:

فلـــسطين شـــاهدنا إنهـــا فريـــسة ذى نهـــم مجـــرم

علانيـــة صـــلبت كالمـــسيح وبيعـــت كيوســـف بالـــدرهم

فيا عجبـــا كيـــف دار الزمـــان وصال البغاث على القـــشعم؟!

ويقول مناجيا أمه:

ذكرتك إذ جاء الـــشتاء وقـــره سهام إلى الأكباد يشققن أضلعا

فحنت إلى الدفء القلـــوب وشـــاقها تذكر حضن الأم إذ طاب مضطجعا

فيا أم، يا نبع الحيـــاة فؤادهـــا إذا جف نبع كان للحب منبعـــا

يا أم ، يا ملجأ الأمان ، وماؤها يرى القلب فيه في الملمات مفزعـــا

تزعزع أركان وتهوى شـــوامخ ولكنه في القلب لن يتزعزعـــا

ويقول مناجيا أوراق الخريف المتناثرة متقائلا :

وقولى: لمـــن دأبـــه أن يـــرى من العـــيش جانبـــه الأســـودا

إذا نعب البـــوم فـــي روضـــه فكـــم بلبـــل فوقهـــا غـــردا

وما العمر إلا بمـــا فيـــه مـــن مفيد ، وليس بطـــول المـــدى

ويقول في الحنين إلى الوطن:

تذكرت أهلى في النـــوى وبلاديـــا وقد طال شوقى للحمى وبعاديـــا

obeikandl.com

تذكرت هاتيــك الربــوع وأهلهــا ... ويا حبذا تلك الربوع الزواهيــا
تطير لها نفسى مــن الوجــد والجــوى ... ويمسى لها دمعى على الخــد جاريــا
وتهتز من شوقى إليها جــوارحى ... كما اهتز غصن مال للريح حانيــا
فلا الشوق يدنينى ولا الفكر نائيــا ... ولا الدمع يجدينى ولا القلب سالبا
وداعــا وداعــا يــابلادى فــإننى ... أودع مشتاقا إلى العــود ثانيــا
وقد يجمــع الله الــشتيتين بعــدما ... يظنان كل الظــن أن تلاقيــا[1]

٩- عبد المسيح حداد

أخو الشاعر ندرة حداد وأخو زوجة الشاعرنسيب عريضة، وصاحب جريدة السائح التي رافقت نشأة الرابطة القلمية، وحركتها الأدبية ، والتى نشرت على صفحاتها إبداعات الأدباء العرب – خاصة أعضاء الرابطة القلمية - وآرائهم النقدية.

ولد (عبد المسيح حداد) في مدينة حمص عام ١٨٩٠، وتعلم في مدارسها الابتدائية، ثم في مدرسة الناصرة الروسية، والتحق بأخيه ندرة حداد في أمريكا عام ١٩٠٧، وأنشأ جريدة السائح عام ١٩١٢، كان أول المتحمسين لإنشاء الرابطة القلمية ، وكان عضوا عاملا بها، وظل يجاهد من أجل نشر إبداعات أدبائها وآرائهم النقدية، بعد إغلاق مجلة الفنون التي كان يمتلكها نسيب عريضة لظروف مادية كما مر بنا، وقد مدحه د.أحمد زكى أبوشادى ، ووصفه بالذكاء الخارق وبروحه الفكهة، وكان يدعى في الولايات المتحدة من زملائه في المهجر ب(مارك توين العرب).

1 - هذه النماذج من كتاب أدب المهجر لعيسى الناعورى من ص٤٤٢:٤٤٣.

obeikandl.com

لم يؤلف في حياته في المهجر سوى كتاب واحد (حكايات مغترب) عام ١٩٢١وهو عبارة عن قصص تصور حياة العرب في المهجر، ولم تكن هذه الحكايات على قدر من القيمة الفنية، بقدر تصويرها لحياة العرب هناك، وطبعت له وزارة الثقافة بدمشق كتابا آخر بعنوان(انطباعات مغترب)عام ١٩٦٢ بعد زيارته لسوريا في ذلك الوقت، ولم يقتصر عطاؤه الأدبى على هذين الكتابين، ولكن له مقالات كان يكتبها في باب(ألحان وأشجان) في جريدة السائح التي ظل يحرر بها ويكتب افتتاحيتها فترة ما يقرب من خمسة وأربعين عاما، لو جمعت هذه المقالات لكان لها القيمة في تقييم إبداعاته ، ووضعه في مرتبة تليق بعطائه الفنى.

أما كتابه حكايات مغترب فهو يشتمل على إحدى وثلاثين قصة، يقول في المقدمة:"منذ دخلت أمريكا منخرطا بين عالمها السورى ونفسى أرى أشكالاً وأوضاعاً اجتماعية، وصوراً شتى لحياتنا السورية الأمريكية، وكنت كثيراً ما أسائل نفسى ،متى يا ترى يتحرك قلم أحد كتابنا فيدون هذه المشاهد، لحمل الناس على درس أسرارها".

ولقد ظلت جريدة السائح في إصدارها حتى عام ١٩٥٧، رغم رحيل الأدباء الأفذاذ (جبران عام ١٩٣١، ورجوع ميخائيل نعيمة إلى أرض الوطن عام ١٩٣٢، ووفاة رشيد أيوب عام ١٩٤١، ووفاة نسيب عريضة عام ١٩٤٦، وندرة حداد عام ١٩٥١، ورغم بيع حقوق الجريدة لجريدة البيان (التي كان يمتلكها صديقه راجى الظاهر)عام ١٩٥٧إلا أنه ظل يكتب بها ، حتى وفاته [١].

1 - راجع:عيسى الناعورى:أدب المهجر ص٤٢٩وما بعدها.